

مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ

ودعوة الأنبياء والمرسلين

وأساليب الطغاة في تميمها وصرف الدعوة عنها

أبو محمد عاصم المقدسي



منبر التوحيد والجهاد

* * *

<http://www.tawhed.ws>
<http://www.almaqdese.net>
<http://www.alsunnah.info>
<http://www.abu-qatada.com>
<http://www.mtj.tw>

براءة

إلى الطواغيت في كل زمان ومكان...

إلى الطواغيت حكاماً وأمراء وقيصرة وأكاسرة وفراعنة وملوكاً...

إلى سدنتهم وعلمائهم المضلين...

إلى أوليائهم وجيوشهم وشرطتهم وأجهزة مخابراتهم وحرسهم...

إلى هؤلاء جميعاً.. نقول

(إنا براءوا منكم ومما تعبدون من دون الله)

براء من قوانينكم ومناهجكم وديانتكم ومبادئكم التنتة..

براء من حكوماتكم ومحاكمكم وشعاراتكم وأعلامكم العفنة..

(كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

ولأجعلن قتالهم ديانِ
ولأجاهدن عداك ما أبقيتني

ولأفرين أيديهم بلسانِ
ولأفضحنهم على رؤوس الملا

بسرائر منكم وخبث جنانِ
موتوا بغيظكم فربي عالم

ورسوله بالعلم والسلطانِ
فالله ناصر دينه وكتابه

أحد ولو جمعت له الثقلانِ
والحق ركن لا يقوم لهده

(ابن القيم)

مقدمة

الحمد لله ولي المتقين، وخاذل أعداء الدين..

وأطيب الصلاة وأتم التسليم على نبينا وأسوتنا القائل: (.. إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم⁽¹⁾).

وبعد فهذا كتابي ملّة إبراهيم أقدمه إلى القراء الكرام بحلته الجديدة هذه، بعد أن انتشر وطبع وصور مراراً، وتداوله الشباب في أرجاء المعمورة، قبل أن أحضره للطبع، وذلك أي كنت قد أهديت منه نسخة بخط يدي إلى بعض إخواننا الجزائريين في الباكستان، وكان آنذاك فصلاً من كتاب كنت أعده في (أساليب الطغاة في الكيد للدعوة والدعاة) حال تقلب الأيام والتنقل بين الديار دون إتمامه، فقام أولئك الإخوة بطبع ذلك الفصل طبعة بحسب إمكاناتهم المتواضعة، ولكنها كانت أول خروجه وسبب انتشاره.

ثم لما فرج الله تعالى بمنه وكرمه بادرت إلى إعداده للطبع خصوصاً بعد أن عاينت طوال مدة اعتقاله وسجني مدى غيظ أعداء الله من هذا الكتاب، فقد كانوا كلما اعتقلوا أخاً يسألونه أول ما يسألونه عن هذا الكتاب، هل قرأه؟ وهل يعرف مؤلفه؟

وكان بعضهم يقول لمن يجيب على ذلك بالإيجاب: "يكفي هذا ليكون فكرك جهادياً وتقتني سلاحاً، ما اعتقلنا تنظيمًا مسلحاً إلا ووجدنا عنده هذا الكتاب".

فالحمد لله الذي جعله شوكة في حلوقهم وغصة في صدورهم وقرحة في كبودهم وأسأل الله أن يظل لنا سعداً، ومرعاه للطاغوت سعداناً⁽²⁾.

هذا ولقد كنت منذ طبع الكتاب طبعته تلك إلى حين كتابة هذه السطور أنتظر أن يصلني نصح أو تنبيه، وأتحرى أن أقع على ملحوظات أو وقفات؛ من كثير ممن أطالوا ألسنتهم فينا وفي دعوتنا، وفي هذا الكتاب، ورمونا وبهتونا بما لم يصدر عنا في يوم من الأيام.. حتى خطب أحدهم خطبة جمعة في أحد مساجد الكويت فزعم أنني أقول بأني وحدي على ملّة إبراهيم في هذا الزمان، وزعم أننا نكفر الناس جميعهم هكذا، ووصفنا

(1) جزء من حديث رواه مسلم عن جندب بن عبد الله مرفوعاً.

(2) السعدان: شوك معروف، جاء في الأحاديث أن كلاليب جهنم على صفته.

بالخوارج المعاصرين، وغير ذلك من الافتراءات التي ما عادت تنظلي إلا على مقلدتهم العميان..

أما طلبة الحق الذين استنارت بصائرهم بنور الوحي، فإنهم يعرفون أن حالنا مع هؤلاء كما قال الشاعر:

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ أتاح لها لسانٌ حَسودٍ

فرغم طول المدة التي نشر فيها الكتاب ورغم كثرة الخصوم والحساد، ووفرة الطاعنين والشائنين لم يصلني طول هذه المدة رد أو نقد أو ملحوظات جادة حول الكتاب، وكل الذي وصلني شقشقات عامة من بعض المخالفين نقلوها مشافهة عن شيوخهم هذا مجملها:

- قالوا إن الله وصف إبراهيم بأنه أواه حلیم لأنه كان يجادل عن قوم لوط الكفار، وهذا مناف لعداوتهم التي ذكرتم أنها من ثوابت هذه الملة.

- وقالوا (ويا عجباً لما قالوا): إننا مأمورون باتباع طريقة محمد صلى الله عليه وسلم وملته..

أما ملة إبراهيم فهي من شرع من قبلنا وشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا..

- وقالوا إن آية الممتحنة المذكورة فيها ملة إبراهيم مدنية، فهي نزلت في مرحلة كان للمسلمين فيها دولة، وقرروا بذلك أن هذه الملة العظيمة إنما تظهر وتتبع فقط عند وجود الدولة..

- وقالوا إن حديث تكسير الأصنام في مكة حديث ضعيف، وأوضعوا بذلك ييغون رد أهم ما جاء في الكتاب بتضعيف ذلك الحديث.

ولعل القارئ الفطن:

ينتقد علينا تنزلنا معهم للرد على مثل هذه الأقاويل والتي حقيقتها كما قال الشاعر:

شبهٌ تهافت كالزجاج تُخالها حقاً وكلُّ كاسرٍ مكسورٌ

ولكنني لا أرى مع ذلك مانعاً من التصدي لها مخافة أن تنظلي على البعض أو يتلقفها بعض الأعرار، خاصة وأنه لم يصلني غيرها، فأقول على وجه الاختصار..

* أولاً: أما قوله تعالى عن إبراهيم: {فلما ذهب عن إبراهيم الرّوْعُ وجاءته
البشرى يجادلنا في قوم لوط* إن إبراهيم حلیم أواه منيب} [هود: 74-75].

فليس فيه وجه دلالة يرقع به المجادلون باطلهم فقد روى أهل التفسير أن جدال
إبراهيم عن قوم لوط، إنما كان لأجل لوط وليس لأجلهم فذكروا أنه لما سمع قول
الملائكة: {إننا مهلكوا أهل هذه القرية} [العنكبوت: 31].

قال: رأيتم إن كان منهم خمسون من المسلمين أهلكوهم؟

قالوا: لا

قال: فأربعون؟

قالوا: لا

قال: فعشرون؟

قالوا: لا

ثم قال: فعشرة، فخمسة؟

قالوا: لا

قال: فواحد؟

قالوا: لا

{قال إن فيها لوطاً. قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله} [العنكبوت:
32].. الآية، وهذا الذي ذكره المفسرون تدل عليه آيات الكتاب..

فإن من أولى أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن، فأية سورة هود الأولى تفسرها
آية العنكبوت المذكورة.. فهي مبينة مفسرة لها..

قال تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين * قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ [العنكبوت: 31-32].

ثم هب أن جدال إبراهيم كان عن قوم لوط أنفسهم، أوليس المعرفة بحقيقة دعوة الأنبياء؛ وأهم كانوا أرحم الناس بأقوامهم، تستلزم حمل ذلك الجدال على الحرص على هدايتهم قبل إهلاكهم؟

أوليس الفقه السليم؛ يقتضي حمل مثل هذا الجدال المطلق، وفهمه على ضوء قول النبي صلى الله عليه وسلم، لما بعث الله إليه ملك الجبال ليأمره بما شاء في قومه، حين ردوا دعوته، فقال صلى الله عليه وسلم: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)، والحديث رواه الشيخان.

أوليس الأدب مع الأنبياء وحسن الظن بهم يقتضي هذا الفهم، ويقتضي تنزيههم عن تلك الأفهام السقيمة، التي تضرب آيات الكتاب بعضها ببعض، وتشوه دعوة الأنبياء وترى بهم؛ إذ تجعلهم من المرقعين للباطل، المجادلين عن الذين يختانون أنفسهم؟؟

وهم الذين ما بعثوا أصلاً إلا للبراءة من الشرك وأهله..

لكن هؤلاء لما لم يجدوا في الأدلة الصريحة ما يرقع باطلهم صاروا إلى ما تموا أنفسهم من النصوص المحتملة (ظنية الدلالة)، وأولوها بأفهامهم السقيمة، ليطعنوا بها في نحر النصوص المحكمة البينة القطعية، كقوله تعالى في سورة الممتحنة بكل وضوح: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءوا منكم وما تعبدون من دون الله﴾ [الممتحنة: 4]... الآية وتأمل كيف صدرها الله تعالى بأنها الأسوة الحسنة لنا.. ثم أتبعها بالتأكيد على ذلك، فقال: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة، لمن كان يرجوا الله...﴾ [الممتحنة: 6] فانظر كيف عرضوا عن هذا النص المحكم الواضح الصريح، وحاصوا إلى آية سورة هود المتقدمة، والتي يقول الله في آخرها: ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ فتدبر حال القوم كيف تلاعبت بهم الشياطين، واحمد إلهك أن هداك إلى الحق المبين.

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكتيان

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

* ثانياً: أما قولهم، إن مللة إبراهيم من شرع من قبلنا، وشرع من قبلنا ليس بشرع لنا، فهو من العجب العجاب، إذ أين يذهب هؤلاء بقوله تعالى الواضح الصريح: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءوا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده...} [المتحنة: 4]، إلى قوله تعالى: {لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد} [المتحنة: 6].

وأين يذهبون بقوله تعالى: {ومن يرغب عن مللة إبراهيم إلا من سفه نفسه} [البقرة: 130].

وبقوله عز وجل: {ثم أوحينا إليك أن اتبع مللة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين} [النحل: 123]، وكم من حديث صحيح في السنة، يوصي به النبي صلى الله عليه وسلم باتباع الحنيفية السمحة مللة أبينا إبراهيم، فالنصوص كثيرة وصريحة بأن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصل دعوته، كانت البراءة من الكفار ومعبوداتهم الزائفة وشرائعهم الباطلة، وهي عين طريقة إبراهيم عليه السلام وملته..

وفي الحديث المتفق عليه: (الأنبياء أولاد علات) أي أن أصلهم واحد وإن اختلفت فروعهم، وأعظم ما دندنا حوله في هذا الكتاب، إنما هو أصل التوحيد ولوازمه من البراءة من الشرك والتنديد بأوليائه.. ومعلوم أن هذا الباب لا نسخ فيه ولا يقال فيه، إنه من شرع من قبلنا، لأن شريعة الأنبياء جميعهم في أصل التوحيد والبراءة من الشرك وأهله واحدة..

قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: 36]، وقال سبحانه: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء: 25]، وقال عز وجل: {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم}... [الشورى: 13].

* ثالثاً: أما قولهم إن آية المتحنة مدنية نزلت لما كان للمسلمين دولة..

فنقول قد أكمل الله لنا الدين وأتم علينا بذلك نعمته، فمن أراد اليوم أن يفرق بين ما أنزل الله، بحجة أن هذا مدني وذاك مكّي، فليأت ببرهان من الشرع على ما يريد، وإلا كان من الكاذبين، قال تعالى: {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}.

وفتح هذا الباب دون ضابط من الشرع أو دليل يدل عليه هو في الحقيقة فتح باب عظيم من الشر على دين الله، وفيه تعطيل لكثير من أدلة الشريعة، ولو قال قائلهم: إن إظهار هذه الملة العظيمة وإعلانها منوط بالاستطاعة، لما تعرضنا له، لكنهم أرادوا إمامتها بحجة أنها مدنية، نزلت لما كان للمسلمين دولة.. مع أن إبراهيم والذين معه عندما قالوها وصدعوا بها، كانوا مستضعفين ولم تكن لهم دولة، ومع ذلك بين الله أن لنا فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.. ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم سار على طريقهم، فكان أهم مهمات دعوته طوال حياته سواء المكية منها أو المدنية، الصدع بالتوحيد والبراءة من الشرك والتنديد، وما يتعلق بذلك ويلزم عنه من عرى الإيمان الوثقى.. وسيرته صلوات الله وسلامه عليه شاهدة بذلك وقد ذكرنا لك أمثلة منها في هذا الكتاب..

ثم هب جدلاً أن ما قالوه في آية الممتحنة المدنية حقاً.

فهل سورة البراءة من الشرك كذلك؟؟ {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون} إلى قوله تعالى: {لكم دينكم ولي دين} [الكافرون: 1-6].

وهل قوله تعالى: {تبت يدا أبي لهب وتب} [المسد: 1].. إلى آخر الآيات كذلك؟؟ وقوله تعالى: {أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان} [النجم: 19-23].

ومثل ذلك قوله تعالى: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون} [الأنبياء: 6].

ونحو ذلك من آيات الكتاب المكية وهي كثير..

وقد ذكرنا في هذا الكتاب قوله تعالى: واصفاً نبيه: {وإذا رءاك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذکر آهتکم}... [الأنبياء: 36].

فقوله: {يذکر آهتکم}: أي يبرأ منها ومن عابديها ويكفر بها ويسفها.. فهل هذا كله لم يكن إلا في المدينة فقط..؟ كيف والآيات مكية؟؟ وأمثالها كثير..

* رابعاً: زعم بعضهم أن حديث تكسير النبي صلى الله عليه وسلم للصنم في مكة ضعيف، وظنوا أنهم بذلك يهدمون أهم ما جاء في الكتاب من معالم هذه الملة العظيمة..

فنقول أولاً: الحديث ثابت بإسناد حسن وهو مروى في مسند الإمام أحمد (84/1).

قال عبد الله حدثني أبي حدثنا أسباط بن محمد حدثنا نعيم بن حكيم المدائني عن أبي مريم عن علي رضي الله عنه قال: "انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجلس). وصعد على منكبي فذهبت لأهض به، فرأى مني ضعفاً، فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال: اصعد على منكبي، قال: فصعدت على منكبيه قال فنهض بي قال: فإنه يخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقدف به"، فقدفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس).

قلت: أسباط بن محمد: ثقة، إنما ضعف في الثوري، وهو هنا لم يروه عنه.

ونعيم بن حكيم المدائني: وثقه يحيى بن معين والعجلي كما في تاريخ بغداد (303/13).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند أيضاً (151/1): حدثني نصر ابن علي، ثنا عبد الله بن داود، عن نعيم بن حكيم، عن علي رضي الله عنه قال: (كان على الكعبة أصنام فذهبت لأحمل النبي صلى الله عليه وسلم إليها فلم أستطع فحملني فجعلت أقطعها ولو شئت لنلت السماء).

وأورد الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد (23/6) (باب تكسيره صلى الله عليه وسلم الأصنام) وقال عقبة: (رواه أحمد وابنه أبو يعلى والبزار، زاد بعد قوله حتى استترنا بالبيوت: فلم يوضع عليها بعد؛ يعني شيئاً من تلك الأصنام) قال: (ورجال الجميع ثقات).

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (302/13، 303): حدثنا أبو نعيم الحافظ إملاء، حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عبد الله بن داود الخريبي، عن نعيم بن حكيم المدائني، قال حدثني أبو مريم عن علي ابن أبي طالب، قال: (انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأصنام فقال: (اجلس) فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي منكبي ثم قال: (انفض بي إلى الصنم)، فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال: اجلس، فجلست وأنزلته عني وجلس لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي: (يا علي اصعد على منكبي) فصعدت على منكبيه، ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نهض خيل إلي أبي لو شئت نلت السماء وصعدت على الكعبة، وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقيت صنمهم الأكبر - صنم قريش - وكان من نحاس موداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عاجله) فعالجته فما زلت أعاجله ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إيه، إيه، إيه)، فلم أزل أعاجله حتى استمكنت منه، فقال: "دقه" فدققته وكسرتة، ونزلت).

قلت: أبو مريم: هو قيس الثقفي المدائني، يروي عن علي وعنه نعيم بن حكيم، ذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه النسائي، ولكنه كما قال الحافظ ابن حجر: (وهم في قوله أن أبا مريم الحنفي يسمى قيساً، والصواب أن الذي يسمى قيساً هو أبو مريم الثقفي.. إلى أن قال: على أن النسخة التي وقفت عليها من كتاب التمييز للنسائي إنما فيه أبو مريم قيس الثقفي نعم ذكره في التمييز.. وأما أبو مريم الحنفي فلم يذكره النسائي لأنه لم يذكر إلا من عرفه) اهـ.

والذين تكلموا في الحديث خلطوا بين الرجلين.. فتنبه لهذا.. وقد وثقه أيضاً الحافظ الذهبي في الكاشف (376/3) وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، والبخاري في التاريخ الكبير، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.. فهو غير الحنفي وغير الكوفي أيضاً راجع ميزان الاعتدال (573/4).

والحديث صححه العلامة أحمد شاكر فقال في هامش تحقيقه للمسند (58/2): "إسناده صحيح، نعيم بن حكيم وثقه ابن معين وغيره وترجم له البخاري في التاريخ الكبير 99/2/4 فلم يذكر فيه جرحاً، أبو مريم: هو الثقفي المدائني، وهو ثقة وترجم له البخاري أيضاً (151/1/4) فلم يذكر فيه جرحاً... قال: ومن الواضح أن هذه القصة كانت قبل الهجرة" اهـ.

أقول: ومع هذا فقد قلنا في هذا الكتاب بعد أن سقنا الحديث: (ومع ذلك نقول لو سلمنا جدلاً أنه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تحطيم الأصنام في مكة زمن الاستضعاف، فإنه صلوات الله وسلامه عليه كان متبعاً لملة إبراهيم أشد الاتباع آخذاً بما بقوة، فما داهن الكفار لحظة واحدة وما سكت عن باطلهم أو عن آلهتهم، بل كان همه وشغله الشاغل في تلك الثلاث عشرة سنة، بل وغيرها هو: **{اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}** [النحل: 36]، فلا يعني كونه جلس بينها تلك الثلاث عشرة سنة، أنه مدحها أو أثني عليها أو أقسم على احترامها...) إلى قولنا: (بل كان يعلن براءته من المشركين وأعمالهم، وييدي كفره بآلهتهم رغم استضعافه واستضعاف أصحابه، وقد فصلنا لك هذا فيما مضى ولو تأملت القرآن المكي لوضح لك من ذلك الكثير.. إلخ).

فالمسألة إذن ليست كما يظنها هؤلاء القوم، موقوفة على حديث فرد يقضى عليها بتضعيفه، بل لها شواهد عظيمة، وبراهين صريحة، وأصول ثابتة، وقواعد راسية من أدلة الشرع، لا يقوى على ردها إلا مكابر جاحد.

فالحق ركنٌ لا يقومُ لهدهُ أحدٌ ولو جمعت له الثقلان

ولعل في هذا القدر الكفاية لمن أراد الهداية.

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أحب أن أضيف إليها، بأني كنت قد ناظرت في السجن بعض أفراد حزب سياسي إرجائي معروف، حول موضوع (الإيمان) ومتعلقاته..

وكان فيهم رأس من رؤوسهم، فكان فيما احتجّ به ترقيعاً لعساكر الشرك والقانون، قصة حاطب بن أبي بلتعة، وقصة أبي لبابة الأنصاري، فزعم أن حاطب تجسس للكفار ووالاهم، وأن أبا لبابة خان الله والرسول، ومع ذلك لم يكفّرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾ ومن ثم قاس حرايه عساكر الشرك والقانون للشريعة وعداوتهم لأهلها، على فعل هذين الصحابين الجليلين. وخرج من ذلك بأن أنصار الطواغيت وعساكرهم، الذين يفتنون أعمارهم في حراسة الشرك والقانون، وحفظ عروش الطواغيت وحرب الشريعة وأهلها، لا يجوز تكفيرهم، لأن جرائمهم لا تعدوا فعل حاطب أو فعل أبي لبابة..! بل زاد على ذلك أن استشاط غضباً لما نقلنا عنه أنه لا يكفّر عساكر الشرك والقانون، بل يقول عنهم ظلمة وفجار، فثار لذلك واتهمنا بأننا غيرنا سياق كلامه، فهو

(3) وقد كتبت رداً على مقالاتهم هذه، في رسالة من رسائل السجن سميتها: "الشهاب الثاقب في الرد على من افتري على الصحابي حاطب".

كما قال لم يصفهم بأنهم ظلمة وفجار، هكذا بإطلاق، وإنما قال في سياق الدفع عن تكفيرهم: "قد يكون بعضهم ظلمة أو فجاراً" أي بحسب حال آحادهم، لا بسبب طبيعة عملهم، ونصرتهم للطواغيت وحرهم للشريعة وأهلها..

فقلت لهم: عجباً لكم تتخرجون من وصف جند الطواغيت وعساكر الشرك والتنديد بالظلم والفجور، ولا تتخرجون من القول عن حاطب: والى الكفار وتحسس لهم، وعن أبي لبابة: خان الله والرسول!! وكان هذا فراق بيننا وبينهم..

ولما حاول بعض الإسلاميين في السجن أن يجمعوا ويصلحوا بيننا، جرى بيننا وبينهم بعض الكلام، فوجدناهم على ما كانوا عليه من المقال، فقلت لهم: (أنا لست على صحبتكم بحريص، لأنكم لا تتخرجون من الكلام في بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالخيانة، بينما تتخرجون من وصف أعداء الله وجند الطواغيت بالظلم والفجور.. لذا فلسنا والله حريصون على صحبتكم وإنما نداريكم ونتجنب الانشغال بكم، لأننا في سجن وبين أعداء الله تعالى⁽⁴⁾ وهنا غضب ناطقهم وأخرج ما كان يكنه في صدره وقال: (أنت أصلاً رجل تدعو إلى ملة إبراهيم، والذي يدعو إلى ملة إبراهيم رجل مشبوه سياسياً، يدعو إلى الذي يصلح اليهود والنصارى، الذين هم من أبناء إبراهيم) أهـ - وما سقت القصة هنا إلا لأجل هذا، وهو محل الشاهد منها..

فلا أدري ما أقول في هذا؟؟

وبأي شيء أردد على أناس يرومون إقامة الخلافة، وهم لا يميزون بين مقولة (أبناء إبراهيم) التي يروج لها الطواغيت اليوم ليؤاخوا اليهود ويصالحوهم، وهي مقولة يراد بها هدم عرى الإيمان، وتمييع أصل الدين، ودك قواعد الولاء والبراء.. وقد رد الله تعالى عليهم فقال: { ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين } [آل عمران: 67].

(4) مع العلم أنهم كانوا في السجن سلماً على أعداء الله حرباً على دعوة التوحيد بل ويصلون خلف عساكر الشرك والقانون دونما إكراه، فنحن نقيم الجمعة والجماعة وحدنا ويصلي معنا سجناء آخرين، أما هؤلاء فيصلون خلف أهل الشرك والتنديد، ويبادروهم بالسلام والإكرام وبعضهم يقبلهم ويهنتهم بالمناسبات والأعياد، بل رأينا ممن ينتسبون للدعوة إلى الإسلام من يهنتهم على رتبهم الطاغوتية الكفرية.

فلا يميزون بين هذه المقولة وبين (ملة إبراهيم) التي فرقت بين الآباء والأبناء، إذ هي الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والتي قال الله تعالى عنها في القرآن: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه}.. [البقرة: 130].

وقد فصلناها لك في هذا الكتاب.. فتأملها ولا تلتفت إلى شغب المخالفين..

وهكذا أخوا التوحيد.. وللأسف الشديد فإنني طوال المدة السابقة من طباعة الكتاب لم يصلني من المخالفين المجادلين الطاعنين فينا وفي دعوتنا إلا أمثال هذه المهاترات التي ما كان ينبغي لنا أن تنزل معهم في الرد عليها.. لولا معرفتنا لأحوال أهل زماننا، واندراس أعلام ومعالم هذه الملة العظيمة بينهم، وأن فيهم سماعون لأهل الزيغ الذين وصفهم الله تعالى في مطلع سورة آل عمران..

فأسأله تعالى أن ينصر دينه ويكبت أعدائه..

وأن يستعملنا ما حيينا في نصره هذه الملة، ويجعلنا من جندها وعساكرها ويتقبل منا ويختم لنا بالشهادة في سبيله.. إنه جواد كريم.

وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أبو محمد

بسم الله وهو حسبي ونعم الوكيل

فصل

في بيان مللة إبراهيم

يقول تعالى عن مللة إبراهيم: {ومن يرغب عن مللة إبراهيم إلا من سفه نفسه} [سورة البقرة: 130].

ويقول أيضاً مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {ثم أوحينا إليك أن اتبع مللة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين} [سورة النحل: 123].

بهذه النصاعة، وبهذا الوضوح بين الله تعالى لنا المنهاج والطريق... فالطريق الصحيح والمنهاج القويم.. هو مللة إبراهيم... لا غموض في ذلك ولا التباس، ومن يرغب عن هذه الطريق بحجة مصلحة الدعوة أو أن سلوكها يجر فتناً وويلات على المسلمين، أو غير ذلك من المزاعم الجوفاء.. التي يلقيها الشيطان في نفوس ضعفاء الإيمان - فهو سفیه، مغرور يظن نفسه أعلم بأسلوب الدعوة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي زكاه الله فقال: {ولقد آتينا إبراهيم رشده} [الأنبياء: 51]، وقال: {ولقد اصطفينا في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين} [البقرة: 130]، وزكى دعوته لنا وأمر خاتم الأنبياء والمرسلين باتباعها، وجعل السفاهة وصفاً لكل من رغب عن طريقه ومنهجه. ومللة إبراهيم هي:

* إخلاص العبادة لله وحده، بكل ما تحويه كلمة العبادة من معان⁽⁵⁾.

(5) ولن يستطيع العبد مواجهة الشرك وأهله ولن يقوى على التبرؤ منهم وإظهار العداوة لباطلهم إلا بعبادة الله حق عبادته، ولقد أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن وقيام الليل في مكة وأعلمه بأن ذلك هو الزاد الذي يعينه على تحمل أعباء الدعوة الثقيلة وذلك قبل قوله: {إننا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً} [المزمل: 5]، فقال: {يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً} [المزمل: 1-4]، فقام صلوات الله وسلامه عليه وقام معه أصحابه حتى تفطرت أقدامهم.. إلى أن أنزل سبحانه التخفيف في آخر الآيات.

* والبراءة من الشرك وأهله.

يقول الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاتة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله" اهـ.

وهذا هو التوحيد الذي دعا إليه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. وهو معنى لا إله إلا الله. إخلاص وتوحيد وإفراد لله عز وجل في العبادة والولاء لدينه ولأوليائه، وكفر وبراءة من كل معبود سواه ومعاداة أعدائه..

فهو توحيد اعتقادي وعملي في آن واحد.. فسورة الإخلاص دليل على الاعتقادي منه وسورة الكافرون دليل على العملي، وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه يكثر من القراءة بهاتين السورتين ويداوم عليهما في سنة الفجر وغيرها.. لأهميتهما البالغة.

- **تنبيه لا بد منه:** وقد يظن ظان أن مللة إبراهيم هذه تتحقق في زماننا هذا بدراسة التوحيد، ومعرفة أقسامه وأنواعه الثلاثة معرفة نظرية وحسب.. مع السكوت عن أهل الباطل وعدم إعلان وإظهار البراءة من باطلهم.

وإن هذا القيام بتلاوة آيات الله عز وجل وتدبر كلامه.. لخير زاد ومعين للداعي، يثبتته ويعينه على مشاق الدعوة وعقباتها.. وإن الذين يظنون أنفسهم قادرين على تحمل الدعوة العظيمة بأعبائها الثقيلة بدون إخلاص العبادة لله عز وجل وبدون إطالة ذكره وتسيحه لمخطئون وواهمون.. وإن ساروا خطوات، فلن يستطيعوا مواصلة الطريق الصحيح المستقيم بغير زاد.. وإن خير الزاد التقوى.. ولقد وصف الله عز وجل أصحاب هذه الدعوة والذين أمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يصير نفسه معهم بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وبأنهم قليلاً من الليل ما يهجعون.. وتتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً.. ويخافون من ربه يوماً عبوساً قمطريراً.. وغير ذلك من الصفات التي لا يصلح لهذه الدعوة وتحمل أعبائها إلا من اتصف بها، جعلنا الله تعالى وإياك منهم، فتنبه!!

فلمثل هؤلاء نقول: لو أن ملّة إبراهيم كانت هكذا لما ألقاه قومه من أجلها في النار، بل ربما لو أنه داهنهم وسكت عن بعض باطلهم ولم يسفه آلهتهم ولا أعلن العداوة لهم واكتفى بتوحيد نظري يتدارسه مع أتباعه تدارساً لا يخرج إلى الواقع العملي متمثلاً بالولاء والبراء والحب والبغض والمعاداة والمجران في الله. ربما لو أنه فعل ذلك لفتحوا له جميع الأبواب، بل ربما أسسوا له مدارس ومعاهد كما في زماننا يدرس فيها هذا التوحيد النظري.. ولربما وضعوا عليها لافتات ضخمة وسموها: مدرسة أو معهد التوحيد، وكلية الدعوة وأصول الدين.. وما إلى ذلك.. فهذا كله لا يضرهم، ولا يؤثر فيهم ما دام لا يخرج إلى الواقع والتطبيق.. ولو خرجت لهم هذه الجامعات والمدارس والكلية آلاف الأطروحات ورسائل الماجستير والدكتوراه في الإخلاص والتوحيد والدعوة.. لما أنكروا ذلك عليها، بل لباركوها ومنحوا أصحابها جوائز وشهادات وألقاباً ضخمة، ما دامت لا تتعرض لباطلهم وحالهم وواقعهم وما دامت على ذلك الحال المسوخ.

* يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في الدرر السنية: (لا يُتصور أن - أحداً- يعرف التوحيد ويعمل به ولا يعادي المشركين ومن لم يعادهم لا يقال له عرف التوحيد وعمل به) أهـ. جزء الجهاد ص 167.

وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنه سكت في بادئ الأمر عن تسفيه أحلام قريش والتعرض لآلهتهم وعيبيها ولو أنه "حاشاه" كتم الآيات التي فيها تسفيه لمعبوداتهم كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.. والآيات التي تتعرض لأبي لهب والوليد وغيرهما.. وكذا آيات البراءة منهم ومن دينهم ومعبوداتهم - وما أكثرها كسورة (الكافرون) وغيرها.. لو فعل ذلك.. وحاشاه من ذلك.. لجالسوه ولأكرموه وقربوه.. ولما وضعوا على رأسه سلى الجزور وهو ساجد، ولما حصل له ما حصل من أذاهم مما هو مبسوط ومذكور في الثابت من السيرة.. ولما احتاج إلى هجرة وتعب ونصب وعناء.. وجلس هو وأصحابه في ديارهم وأوطانهم آمنين.. فقضية موالة دين الله وأهله ومعاداة الباطل وأهله فرضت على المسلمين في فجر دعوتهم قبل فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج، ومن أجلها لا غيرها حصل العذاب والأذى والابتلاء.

* يقول الشيخ حمد بن عتيق في رسالة له في الدرر السنية: (فليتأمل العاقل وليبحث الناصح لنفسه عن السبب الحامل لقريش على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وهي أشرف البقاع، فإن المعلوم أنهم ما أخرجوهم إلا بعدما صرحوا لهم بعبادتهم وضلال آباءهم، فأرادوا منه صلى الله عليه وسلم الكف عن ذلك وتوعدوه وأصحابه بالإخراج، وشكوا إليه أصحابه شدة أذى المشركين لهم، فأمرهم

بالصبر والتأسي بمن كان قبلهم ممن أودى، ولم يقل لهم اتركوا عيب دين المشركين وتسفيه أحلامهم، فاختار الخروج بأصحابه ومفارقة الأوطان مع أنها أشرف بقعة على وجه الأرض {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} أهـ. من جزء الجهاد ص199.

وهكذا فإن الطواغيت في كل زمان ومكان لا يظهرون الرضا عن الإسلام أو يهادنونه ويقيمون له المؤتمرات وينشرونه في الكتب والمجلات ويؤسسون له المعاهد والجامعات إلا إذا كان ديناً أعور أعرج مقصوص الجناحين بعيداً عن واقعهم وعن موالاته المؤمنين والبراءة من أعداء الدين وإظهار العداوة لهم ولعبوداتهم ومناهجهم الباطلة.

وإننا لنشاهد هذا واضحاً في الدولة المسماة "السعودية" فإنها تفر الناس بتشجيعها للتوحيد وكتب التوحيد، وبسماحها بل وحثها للعلماء على محاربة القبور والصوفية وشرك التمام والتولة والأشجار والأحجار.. وغير ذلك مما لا تخشاه ولا يضرها أو يؤثر في سياساتها الخارجية والداخلية.. وما دام هذا التوحيد الجزأ الناقص بعيداً عن السلاطين وعروشهم الكافرة فإنه يتلقى منهم الدعم والمساندة والتشجيع... وإلا فأين كتابات جهيمان وأمثاله رحمه الله تعالى التي تمتلىء وتزخر بالتوحيد؟ لماذا لم تدعمها الحكومة وتشجعها؟؟ رغم أنه لم يكن يكفرها في تلك الكتابات.. أم أنه توحيد يخالف أمزجة (الطغاة) وأهواءهم ويتكلم بالسياسة ويتعرض للولاء والبراء والبيعة والإمارة. وراجع كلامه في مختصر رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ص108 إلى 110 من الرسائل السبع، فقد وجدته متبصراً في هذه القضية رحمه الله تعالى.

يقول الشيخ العلامة حمد بن عتيق رحمه الله في كتابه سبيل النجاة والفكاك من موالات المرتدين وأهل الإشراك: (إن كثيراً من الناس قد يظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين وأن يصلي الصلوات الخمس، ولا يرد عن المسجد فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط.

واعلم أن الكفر له أنواع وأقسام يتعدد المكفرات وكل طائفة من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوع منه، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ويصرح لها بعداوتها، والبراءة منه..) أهـ.

ويقول أيضاً في الدرر السنية: (وإظهار الدين: تكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم والبراءة منهم والتحفظ من موادتهم والركون إليهم واعتزالهم، وليس فعل الصلوات فقط إظهاراً للدين) أهـ. من جزء الجهاد ص196.

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان في ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان
ص76، 77: -

إظهار هذا الدين تصريح لهم بالكفر إذ هم معشر كفار
وعداوة تبدو وبغض ظاهر يا للعقول أما لكم أفكار
هذا وليس القلب كاف بغضه والحب منه وما هو المعيار
لكنما المعيار أن تأتي به جهراً وتصريحاً لهم وجهار

ويقول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن في جزء الجهاد من الدرر السنينة ص141:
(ودعوى من أعمى الله بصيرته وزعم أن إظهار الدين هو عدم منعهم من يتعبد أو يدرس
دعوى باطلة، فزعمه مردود عقلاً وشرعاً، وليهنّ من كان في بلاد النصرارى والجوس
والهند ذلك الحكم الباطل، لأن الصلاة والآذان والتدريس موجود في بلدانهم..) أهـ.

ورحم الله من قال:

يظنون أن الدين لبيك في الفلا وفعل صلاة والسكوت عن الملا

وسالم وخالط من لذا الدين قد قلا وما الدين إلا الحب والبغض والولا

كذاك البرا من كل غاوٍ وآثمٍ

* ويقول أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله تعالى: (إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من
أهل الزمان، فلا تنظر إلى ازدحامهم في أبواب المساجد ولا في ضجيجهم بلبيك ولكن
انظر إلى مواطنهم لأعداء الشريعة، فاللجا اللجا إلى حصن الدين والاعتصام بجبل الله
المتين، والانحياز إلى أوليائه المؤمنين، والحذر الحذر من أعدائه المخالفين، فأفضل القرب إلى
الله تعالى، مقت من حاد الله ورسوله وجهاده باليد واللسان والجنان بقدر الإمكان) أهـ
من الدرر السنينة - جزء الجهاد ص238.

تنبيه ثان: وفي مقابل هذه البراءة من الشرك وأهله.. هناك أيضاً: (موالاة دين الله
وأوليائه ونصرتهم ومؤازرتهم والنصح لهم وإبداء ذلك وإظهاره) حتى تتآلف القلوب
وتتراص الصفوف، ومهما عتفنا إخواننا الموحدين المنحرفين عن جادة الصواب ومهما
شددنا في النصح لهم ونقد طرائقهم المخالفة لطريق الأنبياء.. فالمسلم للمسلم كما يقول

شيخ الإسلام كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وربما احتاج إزالة الوسخ أحياناً إلى شيء من الشدة التي تُحمد عاقبتها، لأن المقصود من ورائها الإبقاء على سلامة اليدين ونظافتهما.. ولا نستجيز بحال من الأحوال التبرؤ منهم بالكلية، لأن للمسلم على أخيه حق الموالة التي لا تنقطع إلا بالردة والخروج من دائرة الإسلام.. وقد عظم الله سبحانه من شأن هذا الحق فقال: **{إلا تفعلوه تكن فئنة في الأرض وفساد كبير}** [الأنفال: 73]. والمسلم المنحرف إنما يتبرأ من باطله أو بدعته وانحرافه مع بقاء أصل الموالة.. ألم تر أن أحكام قتال البغاة وأمثالهم.. تختلف مثلاً عن أحكام قتال المرتدين... ولا نقر أعين الطغاة ونفرحهم بعكس ذلك أبداً، كما يفعل كثير من المنتسبين إلى الإسلام ممن احتل لديهم ميزان الولاء والبراء في هذا الزمان، فبالغوا في البراءة والشماتة من مخالفيهم الموحدين والتحذير منهم بل ومن كثير من الحق الذي عندهم وربما على صفحات الجرائد النتنة المعادية للإسلام والمسلمين ناهيك عن إغراء السفهاء والحكام بهم وبدعواتهم.. حتى يُشارك كثير من هؤلاء الدعاة أولئك الحكام بالقضاء عليهم وعلى دعواتهم بالصاق التهم الباطلة بهم أو ترقيع الفتاوى للطواغيت لقمعهم، كأن يقولوا عنهم: بغاة أو خوارج أو أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى، إلى غير ذلك.. وأعرف كثيراً ممن يفرح بوقوع من يخالفهم من المسلمين بأيدي الطغاة، ويقولون: (يستاهل) أو (زين يسوون فيه) إلى غير ذلك من الكلمات التي ربما تهوي بأحدهم في جهنم سبعين خريفاً من حيث لا يدري وهو لا يُلقي لها بالاً.

واعلم أن من أخص خصائص مللة إبراهيم ومن أهم مهماتها التي نرى غالبية دعاة زماننا مقصرين فيها تقصيراً عظيماً بل أكثرهم هجرها وأماها: -

- إظهار البراءة من المشركين ومعبوداتهم الباطلة.

- وإعلان الكفر بهم وبآلهتهم ومناهجهم وقوانينهم وشرائعهم الشركية.

- وإبداء العداوة والبغضاء لهم ولأوضاعهم ولأحوالهم الكفرية حتى يرجعوا إلى الله، ويتركوا ذلك كله ويبرأوا منه ويكفروا به.

قال تعالى: **{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءوا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده}** [المتحنة: 4].

* يقول العلامة ابن القيم: (لما نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاته الكفار اقتضى ذلك معادتهم والبراءة منهم ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال) أهـ. من بدائع الفوائد (69/3).

* ويقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى: (فقوله: {وبدا} أي ظهر وبان، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء، لأن الأولى أهم من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء، ولا بد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بيّنتين. واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب، فإنها لا تنفعه حتى تظهر آثارها وتبين علاماتها، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين) أهـ. "من سبيل النجاة والفكاك من موالاته المرتدين وأهل الإشراك".

* ويقول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن: (ولا يكفي بغضهم بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء - وذكر آية الممتحنة السابقة ثم قال - فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان، حيث قال: {بدا بيننا} أي ظهر، هذا هو إظهار الدين فلا بد من التصريح بالعداوة وتكفيرهم جهاراً والمفارقة بالبدن، ومعنى العداوة أن تكون في عَدْوَةٍ والضدّ في عَدْوَةٍ أخرى كما أن أصل البراءة المقاطعة بالقلب واللسان والبدن، وقلب المؤمن لا يخلو من عداوة الكافر، وإنما النزاع في إظهار العداوة... أهـ. من الدرر ص 141 جزء الجهاد.

* ويقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (صاحب كتاب فتح المجيد) حول آية الممتحنة السابقة: (فمن تدبر هذه الآيات عرف التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وعرف حال المخالفين لما عليه الرسل وأتباعهم من الجهلة المغرورين الأחסرين قال شيخنا الإمام رحمه الله - يعني جده محمد بن عبد الوهاب - في سياق دعوة النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً إلى التوحيد وما جرى منهم عند ذكر آلهتهم بأنهم لا ينفعون ولا يضرّون أنهم جعلوا ذلك شتماً، "إذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين⁽⁶⁾ والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء كما قال تعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله...} [المجادلة: 22] الآية، فإذا فهمت هذا فهماً جيداً عرفت أن كثيراً ممن يدعي الدين لا يعرفه، وإلا فما الذي حمل المسلمين على

(6) انظر الهامش التالي.

الصبر على ذلك العذاب والأسر والمهجرة إلى الحبشة مع أنه أرحم الناس ولو وجد لهم رخصة أرخص لهم، كيف وقد أنزل الله عليه: {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله} [العنكبوت: 10] فإذا كانت هذه الآية فيمن وافق بلسانه فكيف بغير ذلك؛ يعني من وافقهم بالقول والفعل بلا أذى فظاهرهم وأعانهم وذب عنهم وعن من وافقهم وأنكر على من خالفهم كما هو الواقع" - الدرر - جزء الجهاد ص93 وأنا أقول لهم: لله درك كأنك تتكلم في زماننا...

* ويقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف في الدرر السننية: اعلم وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى أنه لا يستقيم للعبد إسلام ولا دين إلا بمعاداة أعداء الله ورسوله⁽⁷⁾، وموالاته أولياء الله ورسوله قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان} [التوبة: 23] أهـ. من جزء الجهاد ص208.

وهذا هو دين جميع المرسلين.. وهذه هي دعوتهم وطريقتهم كما تدل عليه عموم آيات القرآن وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم.. وكذلك قوله تعالى في آية الممتحنة هذه {والذين معه} أي المرسلين الذين على دينه وملته.. قاله غير واحد من المفسرين.

* ويقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن: (وهذا هو إظهار الدين لا كما يظن الجهلة من أنه إذا تركه الكفار وخلوا بينه وبين أن يصلي ويقرأ القرآن ويشغل بما شاء من النوافل أنه يصير مظهراً لدينه هذا غلط فاحش فإن من يصرح بالعداوة للمشركين والبراءة منهم لا يتركونه بين أظهرهم بل إما قتلوه وإما أخرجوه إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً كما ذكره الله عن الكفار قال تعالى: {وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا} [إبراهيم: 13] الآية. وقال إخباراً عن قوم شعيب: {لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لنعودن في ملتنا} [الأعراف: 88] الآية. وذكر عن أهل الكهف أنهم قالوا: {إنهم إن يظهروا عليكم

(7) إن أريد أصل العداوة فالكلام على إطلاقه، وإن أريد عموم العداوة؛ إظهارها وتفصيلها والصدع بها، فالكلام في استقامة الإسلام لا في زوال أصله، وللشيخ عبد اللطيف في كتابه "مصباح الظلام" تفصيل حول هذا الموضوع، فليراجعه من شاء، وفيه قوله: (فالذي يفهم تكفير من لم يصرح بالعداوة من كلام الشيخ فهمه باطل ورأيه ضال..). أهـ. وسيأتي تفصيل كلامه لاحقاً في هذه الأوراق، ونحن إنما أوردنا مقولاتهم في هذا الفصل لبيان أهمية هذا الأصل الذي طمست معالمه عند أكثر دعاة هذا الزمان. ثم ألحقنا هذه التوضيحات - رغم وضوح الكلام - لنسد الطريق على من يحاولون الصيد في الماء العكر؛ فيبحثون عن عمومات وأشياء ترقع لهم رمينا بعقيدة الخوارج.

يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تغلحوا إذاً أبداً { [الكهف: 20] وهل اشتدت
العداوة بين الرسل وقومهم إلا بعد التصريح بمسبة دينهم وتسفيه أحلامهم وعيب آلهتهم)
أهـ. الدرر - جزء الجهاد ص207.

* ويقول الشيخ سليمان بن سحمان عند آية الممتحنة أيضاً: (فهذه هي مللة إبراهيم
التي قال الله فيها: {ومن يرغب عن مللة إبراهيم إلا من سفه نفسه} [البقرة: 130]،
فعلى المسلم أن يعادي أعداء الله ويظهر عداوتهم ويتباعد عنهم كل التباعد وأن لا يواليهم
ولا يعاشرهم ولا يخالطهم...) أهـ ص221، جزء الجهاد - الدرر السنية.

وأخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في موضع آخر: {قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون * أنتم وآبائكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين} [الشعراء: 75-
76].

وفي موضع ثالث يقول سبحانه: {وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما
تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين} [الزخرف: 27].

* يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب:
(وقد افترض الله تعالى البراءة من الشرك والمشركين والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم
وجهادهم: {فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم} [البقرة: 59]، فوالوهم
وأعانوهم وظاهروهم، واستنصروا بهم على المؤمنين وأبغضوهم وسبوهم من أجل ذلك،
وكل هذه الأمور تناقض الإسلام كما دل عليه الكتاب والسنة في مواضع).

- وهانها شبهة يطرحها كثير من المتسرعين، وهي قولهم إن مللة إبراهيم هذه إنما
هي مرحلة أخيرة من مراحل الدعوة، يسبقها البلاغ بالحكمة والجدال والتي هي أحسن،
ولا يلجأ الداعية إلى مللة إبراهيم هذه من البراءة من أعداء الله ومعبوداتهم والكفر بها
وإظهار العداوة والبغضاء لهم إلا بعد استنفاد جميع أساليب اللين والحكمة.. فنقول وبالله
التوفيق: إن هذا الإشكال إنما حصل بسبب عدم وضوح مللة إبراهيم لدى هؤلاء الناس،
وبسبب الخلط بين طريقة الدعوة للكفار ابتداءً وطريقتها مع المعاندين منهم.. وأيضاً
الفرق بين ذلك كله وبين موقف المسلم من معبودات ومناهج وشرائع الكفار الباطلة
نفسها.. فمللة إبراهيم من حيث أنها إخلاص للعبادة لله وحده وكفر بكل معبود سواه لا
يصح أن تؤخر أو تؤجل.. بل ينبغي أن لا يبدأ إلا بها، لأن ذلك هو تماماً ما تحويه كلمة
لا إله إلا الله من النفي والإثبات وهو أصل الدين وقطب الرحى في دعوة الأنبياء
 والمرسلين، ولأجل أن يزول عنك، كل إشكال فهانها قضيتان:

* **الأولى:** وهي البراءة من الطواغيت والآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل والكفر بها، فهذه لا تؤخر ولا تؤجل.. بل ينبغي أن تظهر وتعلن منذ أول الطريق.

* **الثانية:** البراءة من الأقوام المشركين هم أنفسهم إن أصروا على باطلهم. وإليك التفصيل والبيان: -

القضية الأولى: وهي الكفر بالطواغيت التي تعبد من دون الله عز وجل، سواء كانت هذه الطواغيت أصناماً من حجر، أو شمساً أو قمراً، أو قبراً أو شجراً، أو تشريعات وقوانين من وضع البشر.. فملة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين تستلزم إظهار الكفر بهذه المعبودات كلها وإبداء العداوة والبغضاء لها، وتسفيه قدرها والحط من قيمتها وشأنها وإظهار زيفها ونقائصها وغيوبها منذ أول الطريق. وهكذا كان حال الأنبياء حين كانوا يبدأون دعوتهم لأقوامهم بقولهم: **{اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}** [النحل: 36]، ومن هذا قول الله تعالى عن الحنيف إبراهيم عليه السلام: **{قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين}** [الشعراء: 75].

وقوله في الأنعام: **{قال يا قوم إني بريء مما تشركون}** [الأنعام: 78]، وقوله: **{إذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين}** [الزخرف: 27].

وكذا قوله سبحانه عن قوم إبراهيم: **{قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم}** [الأنبياء: 60]. قال المفسرون: **{يذكرهم}** أي يعيهم ويستهزئ بهم ويتنقصهم. والكتاب والسنة يمتثلان بالأدلة على ذلك.. ويكفيينا من ذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، وكيف كان يسفه آلهة قريش ويظهر البراءة منها والكفر بما حتى كانوا يلقبونه بالصائب.

وإن شئت أن تتأكد من ذلك وتتيقنه فارجع وتدبر القرآن المكّي، الذي ما كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم منه بضع آيات حتى تضرب بها أكباد المطي شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وتتناقلها الألسنة في الأسواق والمجالس والنوادي.. وكانت هذه الآيات تخاطب العرب بلغتهم العربية المفهومة.. بكل وضوح وجلال تسفه آلهتهم وعلى رأسها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أعظم الآلهة عند القوم في ذلك الزمان، وتعلن البراءة منها وعدم الالتقاء معها أو الرضى بها وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليكنتم شيئاً من ذلك.. إن هو إلا نذير.

فالذين يصدّرون أنفسهم للدعوة في هذا الزمان بحاجة إلى تدبير هذا الأمر جيداً ومحاسبة أنفسهم عليه كثيراً، لأن دعوة تسعى لنصرة دين الله ثم تلقي بهذا الأصل الأصيل وراءها ظهيراً لا يمكن أن تكون على منهج الأنبياء والمرسلين.. وها نحن نعيش في هذا الزمان انتشار شرك التحاكم إلى الدساتير والقوانين الوضعية بين ظهرانيا، فيلزم هذه الدعوات ولا بد، التأسى بنبيها في اتباع ملّة إبراهيم بتسفيه قدر هذه الدساتير وتلك القوانين وذكر نقائصها للناس وإبداء الكفر بها وإظهار وإعلان العداوة لها ودعوة الناس إلى ذلك.. وبيان تلبيس الحكومات وضحكها على الناس.. وإلا فمتى يظهر الحق، وكيف يعرف الناس دينهم حق المعرفة، ويميزون الحق من الباطل والعدو من الولي.. ولعل الغالبية يتعدّون بمصلحة الدعوة وبالفتنة.. وأي فتنة أعظم من كتمان التوحيد والتلبيس على الناس في دينهم، وأي مصلحة أعظم من إقامة ملّة إبراهيم وإظهار الموالاتة لدين الله والمعاداة للطواغيت التي تعبد ويدان لها من دون الله، وإذا لم يبتل المسلمون لأجل ذلك وإذا لم تقدم التضحيات في سبيله فلا شيء إذاً يكون البلاء.. فالكفر بالطواغيت كلها واجب على كل مسلم بشرط شهادة الإسلام.. وإعلان ذلك وإبداؤه وإظهاره واجب عظيم أيضاً لا بد وأن تصدع به جماعات المسلمين أو طائفة من كل جماعة منهم على الأقل، حتى يشتهر وينتشر ويكون هو الشعار والصفة المميزة لهذه الدعوات كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم، ليس في زمن التمكين وحسب بل وفي زمن الاستضعاف، حيث كان يشار إليه بالأصابع ويحذر منه ويوصف بعبادة الآلهة وغير ذلك.. وإننا لنعجب أي دعوة هذه التي يتباكى أولئك الدعاة على مصلحتها وأي دين هذا الذي يريدون إقامته وإظهاره وأكثرهم يلهج بمدح القانون الوضعي - ويا للمصيبة - وبعضهم يثني عليه ويشهد بنزاهته وكثير منهم يقسم على احترامه والالتزام بينوده وحدوده، عكساً للقضية والطريق فبدلاً من إظهار وإبداء العداوة له والكفر به، يظهرون الولاء له والرضى عنه، فهل مثل هؤلاء ينشرون توحيداً أو يقيمون ديناً؟! إلى الله المشتكى..

وإبداء هذا الأمر وإظهاره ليس له علاقة بتكفير الحاكم أو إصراره على الحكم بغير شريعة الرحمن.. لأنه متعلق بالدستور أو التشريع أو القانون القائم المحترم المطبق المجلد المحكم بين الناس.

– القضية الثانية: وهي البراءة من المشركين والكفر بهم وإظهار العداوة والبغضاء لهم هم أنفسهم.

* يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان: (وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله)

أهـ. وينسب لشيخ الإسلام وهذه القضية - أي البراءة من المشركين - أهم من الأولى أعني (البراءة من معبوداتهم).

* يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى في "سبيل النجاة والفكاك" عند قوله تعالى: {إنا براءوا منكم ومما تعبدون من دون الله} [المتحنة: 4]: (وهاهنا نكتة بديعة وهي أن الله تعالى قدّم البراءة من المشركين العابدين غير الله، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله لأن الأول أهم من الثاني، فإنه إن تبرأ من الأوثان ولم يتبرأ ممن عبدها لا يكون آتياً بالواجب عليه. وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم، وكذا قوله: {وأعتزلكم وما تدعون من دون الله} [مریم: 48] الآية. فقدّم اعتزالهم على اعتزال ما يدعون من دون الله. وكذا قوله: {فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله} [مریم: 49]، وقوله: {وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله} [الكهف: 16]، فعليك بهذه النكتة فإنها تفتح لك باباً إلى عداوة أعداء الله. فكم من إنسان لا يقع منه الشرك ولكنه لا يعادي أهله فلا يكون مسلماً بذلك إذ ترك دين جميع المرسلين⁽⁸⁾ أهـ.

* ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في رسالة له في الدرر السنية: (والمرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيد، ولكنه يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم. فيكون متبعاً لهواه داخلاً من الشرك في شعب تهدم دينه وما بناه، تاركاً من التوحيد أصولاً وشعباً لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه فلا يجب ولا يبغض لله ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسوّه، وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلا الله) أهـ من جزء الجهاد ص 681.

* ويقول أيضاً في رسالة أخرى له من الكتاب نفسه ص 842: (وأفضل القرب إلى الله مقت أعدائه المشركين وبغضهم وعداوتهم وجهادهم وبهذا ينجو العبد من توليهم من دون المؤمنين، وإن لم يفعل ذلك فله من ولايتهم بحسب ما أحل به وتركه من ذلك، فالحذر الحذر مما يهدم الإسلام ويقلع أساسه) أهـ.

* ويقول سليمان بن سحمان:

(8) مقصود الشيخ هنا والله أعلم أن لا يعاديهم ولا يبغضهم جملة وتفصيلاً حتى في قلبه، بل يضمن لهم بدلاً من ذلك الود والمحبة فهذا لا شك قد نقض إيمانه وترك دين جميع المرسلين، قال تعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله}.

فمن لم يعاد المشركين ولم

يوال ولم يبغض ولم يتجنب

فليس على منهاج سنة أحمد

وليس على نهج قويم معرب

* وقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (لا بد للمسلم من التصريح بأنه من هذه الطائفة المؤمنة، حتى يقويها وتقوى به ويفزع الطواغيت، الذين لا يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرح لهم أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم). أهـ من مجموعة التوحيد.

* وسئل الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن رجل دخل هذا الدين وأحبه وأحب أهله، ولكن لا يعادي المشركين أو عاداتهم ولم يكفرهم؟ فكان مما أجابا به: (من قال لا أعادي المشركين، أو عاداتهم ولم يكفرهم؟ فهو غير مسلم؟ وهو ممن قال الله تعالى فيهم: {ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً} [النساء: 151]. أهـ. من الدرر⁽⁹⁾.

* يقول سليمان بن سحمان:

فعاد الذي عادى لدين محمد

ووال الذي والاه من كل مهتد

وأحب لحب الله من كان مؤمناً

وأبغض لبغض الله أهل التمرد

وما الدين إلا الحب والبغض والولا

كذاك البرا من كل غاو ومعتد

* ويقول أيضاً:

نعم لو صدقت الله فيما زعمته

لعاديت من بالله ويحك يكفر

وواليت أهل الحق سراً وجهرة

ولما تمأججهم وللکفر تنصر

فما كل من قد قال ما قلت مسلم

ولكن بأشراط هنالك تذكر

مباينة الكفار في كل موطن

بذا جاءنا النص الصحيح المقرر

(9) انظر الهامش السابق.

وتكفيرهم جهراً وتسفيه رأيهم
وتضليلهم فيما أتوه وأظهروا
وتصدع بالتوحيد بين ظهورهم
وتدعوهموا سراً لذلك وتجهروا
فهذا هو الدين الحنيفي والهدى
وملة إبراهيم لو كنت تشعر

بالطبع لا نقول إن إظهار مثل هذه البراءة والعداوة شاملة حتى للمؤلفة قلوبهم، أو من يظهرون التقبل ولا يظهرون العداوة لدين الله، وإن كان الواجب وجودها في القلب لكل مشرك، حتى يتطهر من شركه، ولكن الكلام على الإظهار والإعلان والمجاهرة والإبداء، فهؤلاء وحتى المتجبرين والظالمين يُدعون إلى طاعة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ابتداءً فإن استجابوا فهم إخواننا نجبهم بقدر طاعتهم ولهم ما لنا، وعليهم ما علينا. وإن أبوا مع وضوح الحجة واستكبروا وأصروا على ما هم عليه من الباطل والشرك ووقفوا في الصف المعادي لدين الله، فلا مجاملة معهم ولا مداينة.. بل يجب إظهار وإبداء البراءة منهم عند ذلك.. وينبغي التفريق هنا بين الحرص على هداية المشركين والكفار وكسب أنصار للدين واللين في البلاغ والحكمة والموعظة الحسنة وبين قضية الحب والبغض والموالاتة والمعاداة في دين الله، لأن كثيراً من الناس يخلط في ذلك فتستشكل عليهم كثير من النصوص مثل: "اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون" وما إلى ذلك.

وقد تبرأ إبراهيم من أقرب الناس إليه، لما تبين له أنه مصرّ على شركه وكفره، قال تعالى عنه: {فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه} [التوبة: 114].. ذلك بعد أن دعاه بالحكمة والموعظة الحسنة، فتجده يخاطبه بقوله: {يا أبت إني قد جاءني من العلم} [مريم: 43].. {يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن} [مريم: 45].. وهكذا موسى مع فرعون.. بعد أن أرسله الله إليه وقال: {فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى} [طه: 44].. فقد بدأ معه بالقول اللين استجابة لأمر الله فقال: {هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتحشى} وأراه الآيات والبيّنات.. فلما أظهر فرعون التكذيب والعناد والإصرار على الباطل، قال له موسى كما أخبر تعالى: {لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني أظنك يا فرعون مشبوراً} [الإسراء: 102].. بل ويدعو عليهم قائلاً: {ربنا إنك آتيت فرعون وملاًه زينة وأموراً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم} [يونس: 88]، فالذين يدندنون على نصوص الفرق واللين والتيسير على إطلاقها ويحملونها على غير محلها، ويضعونها في غير موضعها، ينبغي لهم أن يقفوا عند هذه القضية طويلاً، ويتدبروها ويفهموها فهماً جيداً.. إن كانوا مخلصين..

وليعلموا بعد ذلك جيداً، أن من كُلم بشتى الأساليب وأغلبها من أساليب الرفق واللين، سواء عن طريق الرسائل والكتب أو مباشرة ومواجهة عن طريق كثير من الدعاة، وبيّن له أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر.. وعلم بأنه لا يجوز له الحكم بغير شريعة الله.. ولكنه برغم ذلك يصر ويستكبر.. وإن كان في ظاهره في كثير من المناسبات يضحك على أذقان المساكين بوعوده الفارغة الكاذبة وكلماته المعسولة وحججه الواهية الزائفة.. ولسان حاله يكذب مقاله. وذلك بإقراره وسكوته عن ازدياد الكفر والفساد في البلاد والعباد يوماً بعد يوم.. وتشديده على الدعاة والمؤمنين، وتضييقه على المصلحين ورضده لهم بأجهزة مخابراته وشرطته.. وتوسيعه في الوقت ذاته على كل محارب لدين الله، وتسهيل وسائل الفساد والإفساد لأعداء الله بل وتسخير وسائل الإعلام لهم ولفسادهم وإلحادهم.. وإصدار القوانين واللوائح التي تعاقب كل من تهجم على ياسقه العصري الوضعي الشركي أو أعلن الكفر والبراءة منه أو تنقصه أو بيّن باطله للناس.. وإصراره على إبقائه الحاكم الذي يفصل بين العباد في دمائهم وأمواهم وفروجهم، رغم ما هو مشحون به من الكفر البواح.. وعدم استسلامه لشرع الله وتحكيمه مع علمه بوجوب ذلك ومطالبة المصلحين به.. فمثل هذا لا تجوز مدهنته أو مهادنته أو مجاملته أو تبجيله بألقابه أو تهنئته بالأعياد والمناسبات أو إظهار الولاء له أو لحكومته.. بل لا يقال له إلا كما قال إبراهيم والذين معه لقومهم: إنا براء منك ومن دستورك وقوانينك الشركية وحكومتك الكفرية.. كفرنا بكم.. وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى ترجعوا إلى الله وتستسلموا وتنقادوا لشرعه وحده.. ويدخل في ذلك أيضاً التحذير من موالاتهم ومن الدخول في طاعتهم والاطمئنان إليهم والمشى في ركابهم وتكثير سوادهم عن طريق الوظائف التي تعينهم على باطلهم أو تثبت حكوماتهم وتحفظ أو تنفذ قوانينهم الباطلة كالجيش والشرطة والمباحث وغير ذلك..

ولقد كانت مواقف السلف مع أمراء زمانهم - الذين لا تصح بحال من الأحوال مقارنتهم بهذا الطاغوت وأمثاله - مواقف حازمة واضحة نظيفة.. وأين مواقف كثير من أصحاب الدعوات في زماننا هذا منها.. مع شهرة هؤلاء وتصفيق أتباعهم لهم.. ومع أن أولئك السلف ما تخرجوا من كليات العلوم السياسية أو الحقوق، ولا كانوا يقرأون الجرائد أو المجلات النتنة بحجة التبصر بمكايد الأعداء.. مع ذلك كانوا يفرون من السلطان وأبوابه والسلطان يطلبهم ويغريهم بالأموال وغيرها.. أما المنتسبون إليهم اليوم ممن لعب الشيطان بدينهم فيطلبون صلاح دنياهم بفساد دينهم؛ فيأتون ويطلبون أبواب السلطان والسلطان يذلهم ويعرض عنهم.. وكان السلف رضوان الله عليهم ينهون عن الدخول على أمراء الجور، حتى لمن أراد أمرهم بالمعروف أو نهيهم عن المنكر، مخافة أن يفتتن بهم فيداهنهم أو يجاملهم لإكرامهم أو يسكت عن بعض باطلهم ويقره، ويرون أن البعد عنهم

واعترزاهم خير براءة وإنكار لأحوالهم.. واستمع إلى سفيان الثوري وهو يكتب إلى عباد بن عباد فيقول في كتابه: (إياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك ويقال لك لتشفع وتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك خديعة إبليس.. وإنما اتخذها فجار القراء سلماً..). اهـ. من سير أعلام النبلاء (586/13) وجامع بيان العلم وفضله (179/1) فانظر إلى سفيان رحمه الله تعالى وهو يسمي ما يصفه دعاة اليوم بمصلحة الدعوة: "خديعة إبليس" .. ولم يقل لصاحبه كما يفعل كثير من دعاة هذا الزمان الذين يضيعون أعمارهم في طلب مصلحة الدعوة ونصر الدين عند أعدائه ومحاربيه: (لا يا أخي!! اثبت وجودك وتقرب إليهم لعلك تحصل على منصب أو كرسي في مجلس الوزراء أو مجلس الأمة، ولعلك تقلل من الظلم أو تنفع إخوانك. ولا تترك هذا المنصب للعصاة والفجرة ليستغلوه.. و... و..). بل وصف ذلك بأنه سلم للدنيا عند فجار القراء وإذا كان هذا في زمانه فكيف في زماننا. نسأل الله العافية، ونعوذ بالله من شر أهل هذا الزمان وشر تلبيساتهم.. ورحم الله من قال:

قوم تراهم مهطعين لمجلس فيه الشقاء وكل كفــــر دان

بل فيه قانون النصارى حاكماً من دون نص جاء في القرآن

تباً لكم من معشر قد أشربوا حــــب الخلاف ورشوة السلطان

* وهذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يكرر كثيراً ما جاء عن سفيان الثوري من قوله: (من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث:

- إما أن يكون فتنة لغيره بالجلوس معه، وقد ورد في الحديث: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) رواه مسلم.

- أن يقع في قلبه شيء من الاستحسان، فيزل به فيدخله الله النار بسبب ذلك.

- أن يقول: (والله ما أبالي بما تكلموا وإني واثق من نفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه الله إياه) اهـ. من الدرر السنية وغيرها.

فإذا كانت هذه أقوالهم في مجالسة أهل البدع وإن كانت بدعهم غير مكفرة كما هو معلوم في مواضع كثيرة من كلامهم.. فكيف بمجالسة المرتدين من عبيد القانون

وغيرهم من المشركين.. وتأمل قوله في الثالثة: (إني واثق من نفسي) وكم سقط بسببها ويمثلها كثير من دعاة زماننا، فالسلامة.. السلامة..

وعلى كل حال فقد أبطل الله تعالى جميع هذه الطرق المعوجة التي يحلم أصحابها أن وراءها نصراً للدين.. فبين جل وعلا أن لا نصر يرتجى ولا مصلحة دينية أبداً في التقرب إلى الظلمة.. فقال سبحانه في سورة هود التي شئيت النبي صلى الله عليه وسلم: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون} [هود: 113]، فليس وراء هذه المداهنات والسبل الملتوية نصراً للدين الله ولا مصلحة وإن توهم ذلك المتوهمون.. اللهم إلا أن يكون ميسس النار عندهم مصلحة للدعوة.. فأفقد من نومك، ولا تغتر بكل ناعق وزاعق..

* وقد قال المفسرون في قوله تعالى: {ولا تركنوا} الركون هو الميل اليسير.

* وقال أبو العالية: لا تميلوا إليهم كل الميل في المحبة ولين الكلام.

* وقال سفيان الثوري: من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً أو ناولهم قرطاساً دخل في ذلك.

* قال الشيخ حمد بن عتيق: فتوعد سبحانه بميسس النار من ركن إلى أعدائه ولو بلين الكلام.

* وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن -وهو من أئمة الدعوة النجدية السلفية أيضاً- بعد أن ذكر بعض أقوال المفسرين السابقة في معنى الركون: (وذلك لأن ذنب الشرك أعظم ذنب عصي الله به على اختلاف رتبته، فكيف إذا انضاف إليه ما هو أفحش، من الاستهزاء بآيات الله وعزل أحكامه وأوامره وتسمية ما ضاده وخالفه بالعدالة، والله يعلم ورسوله والمؤمنون أنها الكفر والجهل والضلالة، ومن له أدنى أنفة وفي قلبه نصيب من الحياة يغار الله ورسوله وكتابه ودينه ويشند إنكاره وبراءته في كل محفل، وكل مجلس، وهذا من الجهاد الذي لا يحصل جهاد العدو إلا به، فاغتنم إظهار دين الله والمذاكرة به وذم ما خالفه والبراءة منه ومن أهله، وتأمل الوسائل المفضية إلى هذه المفسدة الكبرى وتأمل نصوص الشارع في قطع الوسائل والذرائع، وأكثر الناس ولو تبرأ من هذا ومن أهله، فهو جند لمن تولاهم وأنس بهم وأقام بحماهم والله المستعان) اهـ من الدرر، جزء الجهاد ص 161. فله دره كآته يتكلم عن زماننا.

* يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فإن الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأولّه وأسسه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين منكم نسباً واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم. أو جادل عنهم أو لم يكفرهم، أو قال ما عليّ منهم، أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى إثماً مبيهاً، فقد كلف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم، فإن الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً) أهـ. من مجموعة التوحيد.

* تنبيه: واعلم بعد ذلك كله، أن لا تنافي بين القيام بمللة إبراهيم والأخذ بأسباب السرية والكتمان في العمل الجاد لنصرة الدين.. وكلامنا هذا كله لا يرد هذا السبب العظيم الذي كان يأخذ به النبي صلى الله عليه وسلم والأدلة عليه من سيرته أكثر من أن تحصى.. ولكن الذي يقال: إن هذه السرية يجب أن توضع في مكانها الحقيقي.. وهي سرية التخطيط والإعداد، أما مللة إبراهيم والكفر بالطواغيت ومناهجهم وأهنتهم الباطلة فهذه لا تدخل في السرية بل من علنية الدعوة فينبغي إعلانها منذ أول الطريق كما بينا سابقاً، وعلى ذلك يُحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق).. الحديث. رواه مسلم وغيره.. أما إخفاؤها وكتمتها مداهنة للطواغيت، وتغلغلاً في صفوفهم وارتقاء في مناصبهم.. فليس من هدي نبينا محمد ع.. بل هو من هدي وسرية أصحاب التنظيمات الأرضية الذين يجب أن يقال لهم أيضاً: **{لكم دينكم ولي دين}**.. وخلاصة الأمر أنّها: سرية في الإعداد والتخطيط علنية في الدعوة والتبليغ.

* وإنما قلنا ذلك لأن كثيراً من الناس سواء من المرجفين أو ممن لم يفهموا دعوة الأنبياء حق الفهم، يقولون عن جهل منهم إن هذه الطريق التي تدعون إليها تكشفنا وتفضح تخطيطاتنا وتعجل بالقضاء على الدعوة وثمراتها..

فيقال لهم أولاً: إن هذه الثمرات المزعومة لن تينع ولن يبدو صلاحها حتى يكون الغراس على منهاج النبوة، وواقع هذه الدعوات العصرية أكبر دليل وشاهد على ذلك بعد الأدلة الشرعية المتقدمة من ملّة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. حيث إن ما نعانیه اليوم من جهل أبناء المسلمين والتباس الحق عليهم بالباطل، وعدم وضوح مواقف الولاء والبراء، إنما هو من سكوت وكتمان العلماء والدعاة لهذا الحق ولو أنهم صرحوا وصدعوا به وابتلوا كما هو حال الأنبياء لظهر وبان للناس

جميعاً، ولتمحص وتميز بذلك أهل الحق من أهل الباطل وبلغت رسالات الله ولزال التلبس الحاصل على الناس خاصة في الأمور المهمة والخطيرة في هذا الزمان، وكما قيل: (إذا تكلم العالم تقية والجاهل بجهله فمتى يظهر الحق). وإذا لم يظهر دين الله وتوحيده العملي والاعتقادي للناس.. فأى ثمار تلك التي ينتظرها ويرجوها هؤلاء الدعاة؟

أهي (الدولة الإسلامية)؟ إن إظهار توحيد الله الحق للناس وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد هي الغاية العظمى والمقصود الأهم وإن نكّل بالدعوات وإن ابتلي الدعاة..

وهل يظهر الدين إلا بالمدافعة والبلاء: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض} [البقرة: 251]، فبذلك يكون إعلاء دين الله وإنقاذ الناس وإخراجهم من الشرك باختلاف صورته، وهذه هي الغاية التي يكون من أجلها البلاء وتنحصر على اعتبارها التضحيات.. وما الدولة الإسلامية أصلاً إلا وسيلة من وسائل هذه الغاية العظمى.. وفي قصة أصحاب الأخدود عبرة لأولي الألباب فإن ذلك الغلام الداعية الصادق ما أقام دولة ولا صولة ولكنه أظهر توحيد الله أيما إظهار، ونصر الدين الحق نصراً مؤزراً ونال الشهادة، وما قيمة الحياة بعد ذلك، وما وزن القتل والحرق والتعذيب إذا فاز الداعية بالفوز الأكبر.. كانت الدولة أم لم تكن.. وإن حُرِّقَ المؤمن وإن خُدَّتْ لهم الأحاديث فإنهم منتصرون لأن كلمة الله هي الظاهرة والعليا.. أضف إلى ذلك أن الشهادة طريقهم والجنة نزلهم.. فأنعم بذلك أنعم..

* وبهذا تعلم أن قول أولئك الجهال: (إن هذه الطريق تقضي على الدعوة وتعجل بيوار ثمراتها) جهل وإرجاف، لأن هذه الدعوة هي دين الله الذي وعد الله عز وجل بأن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وذلك كائن لا ريب فيه، ونصرة دين الله وإعلاؤه ليست متعلقة بأشخاص هؤلاء المرجفين، تذهب بذهابهم أو تهلك بهلاكهم أو توليهم.. قال تعالى: {وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} [محمد: 38]. وقال: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم} [المائدة: 54]، وقال سبحانه: {ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد} [الحديد: 24]، وها هي دعوات الرسل والأنبياء وأتباعهم خير شاهد في شعاب الزمان.. وقد كانوا أشد الناس بلاءً وامتحاناً وما أثر ذلك البلاء في نور دعواتهم، بل ما زادها إلا ظهوراً واشتهاراً وتغلغلاً في قلوب الناس وبين

صفوفهم، وها هي إلى اليوم ما زالت نوراً يهتدي به السائرون في طريق الدعوة إلى الله، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه.

* ثم ومع ذلك كله فلا بد من معرفة قضية أخيرة هنا.. وهي أن هذا الصدع بإظهار العداوة والبراءة من الكفار المعاندين وإبداء الكفر بمعبوداتهم وباطلهم المتنوع في كل زمان، وإن كان هو الأصل في حال الداعية المسلم.. وهو صفة الأنبياء وطريق دعوتهم المستقيم الواضح.. ولن تفلح هذه الدعوات ولن يصلح مرادها وحالها ولن يظهر دين الله ولن يعرف الناس الحق إلا بالتزام ذلك واتباعه، مع ذلك يقال بأنه إذا صدعت به طائفة من أهل الحق سقط عن الآخرين والمستضعفين منهم من باب أولى، وذلكم الصدع به، أما هو بجد ذاته فإنه واجب على كل مسلم في كل زمان ومكان لأنه كما أسلفنا من لا إله إلا الله التي لا يصح إسلام امرئ إلا بها، أما أن يهمل ويلغى الصدع به كلية من حساب الدعوات مع أنه أصل أصيل في دعوات الأنبياء، فأمر غريب محدث ليس من دين الإسلام في شيء، بل دخل على هؤلاء الدعاة الذين يدعون بغير هدي النبي صلى الله عليه وسلم بتقليدهم ومحاکاتهم للأحزاب الأرضية وطرائقها التي تدين بالتقية في كل أحوالها ولا تبالى بالمداينة أو تتحرج من النفاق..

* واستنناؤنا هذا غير نابع من الهوى والتكتيكات العقلية بل من النصوص الشرعية النقلية الكثيرة.. والمتأمل لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد الاستضعاف يتجلى له ذلك واضحاً.. وانظر على سبيل المثال لا الحصر.. قصة إسلام عمرو بن عبسة السلمي في صحيح مسلم ومحل الشاهد منها قوله، قلت: (إني متبعك). قال: (إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني.. الحديث) قال النووي: (معناه قلت له إني متبعك على إظهار الإسلام هنا وإقامتي معك. فقال: لا تستطيع ذلك لضعف شوكة المسلمين ونخاف عليك من أذى كفار قريش ولكن قد حصل أجرك فابق على إسلامك وارجع إلى قومك واستمر على الإسلام في موضعك حتى تعلمني ظهرت فأتني...). أهـ. فهذا واحد قد أذن له النبي صلى الله عليه وسلم في عدم إعلان وإظهار الدين.. لأن دين الله ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت مشتهرة معروفة ظاهرة في ذلك الوقت ويدلك على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه: (ألا ترى حالي وحال الناس).

وقصة إسلام أبي ذر في البخاري أيضاً، ومحل الشاهد منها قوله صلى الله عليه وسلم له: (يا أبا ذر أكتنم هذا الأمر وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل...). الحديث ومع هذا فقد صدع به أبو ذر بين ظهرائي الكفار متابعة منه لهدي النبي صلى الله

عليه وسلم وطريقته في ذلك، ومع أنهم ضربوه ليموت كما جاء في الحديث، ومع تكراره لذلك الصدع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليه فعله ذلك، ولا خذله ولا قال له كما يقول دعاة زماننا إنك بفعلك هذا ستبيل الدعوة وستثير فتنة، وتضر مصلحة الدعوة أو أخرت الدعوة مائة سنة.. حاشاه من أن يقول مثل ذلك.. فهو قدوة الناس كافة وأسوتهم إلى يوم القيامة في هذا الطريق.. فاستخفاء بعض المستضعفين من اتباع الدعوة شيء وظهور الدين وإعلانه شيء آخر، ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة معروفة مشتهرة، والكل يعرف أن أصلها وقطب رحاها الكفر بطواغيت ذلك الزمان وتوحيد العبادة بكل أنواعها لله عز وجل.. حتى أنه ليحذر منها وتحارب بشتى الوسائل.. وما احتاج أتباعه المستضعفين أصلاً للاستخفاء والهجرة وما حصل لهم من الأذى والاستضعاف ما حصل إلا بسبب وضوح الدعوة واشتهار أصلها، ولو كان عندهم من المداينة قليلاً مما عند أهل زماننا لما حصل لهم ذلك كله.

* ومعرفتك لهذه النكتة تتضح لك فائدة أخرى مهمة: وهي جواز مخادعة الكفار وتخفي بعض المسلمين بين صفوفهم أثناء المواجهة والقتال إذا ما كان الدين ظاهراً وأصل الدعوة مشتهراً.. ففي هذه الأحوال يصح الاستشهاد بمحادثة قتل كعب بن الأشرف وأمثالها.. أما أن يضيع كثير من الدعاة أعمارهم في جيوش الطواغيت موالين مدهنين يميون ويموتون وهم في خدمتهم وخدمة مؤسستهم الخبيثة بحجة الدعوة ونصر الدين.. فيلبسوا على الناس دينهم ويقبروا التوحيد.. فهذه السبل في المغرب ودعوة النبي ﷺ وهدية عنها في أقاصي المشرق.

سارت مشرقةً وسرت مغرباً شتان بين مشرقٍ ومغربٍ

فملة إبراهيم إذا هي طريق الدعوة الصحيحة.. التي فيها مفارقة الأحباب وقطع الرقاب.. أما غيرها من الطرائق والمناهج المتتوية والسبل المعوجة المنحرفة تلك التي يريد أصحابها إقامة دين الله دون أن يستغنوا عن المراكز والمناصب، ودون أن يغضبوا أصحاب السلطان.. أو يفقدوا القصور والنسوان والسعادة في الأهل والبيوت والأوطان، فليست من ملة إبراهيم في شيء. وإن ادعى أصحاب هذه الدعوات أنهم على منهج السلف ودعوة الأنبياء والمرسلين.. فوالله لقد رأيناهم.. رأيناهم كيف يبشون في وجوه المنافقين والظالمين بل والكفار المحادين لله ورسوله لا لدعوتهم ورجاء هدايتهم، بل يجالسونهم مدهنةً وإقراراً لباطلهم ويصفقون لهم ويقومون لهم إكراماً يجلونهم ويدعونهم بألقابهم.. نحو: صاحب الجلالة والملك المعظم والرئيس المؤمن وصاحب السمو بل وإمام المسلمين

وأمر المؤمنين مع أنهم حرب على الإسلام والمسلمين⁽¹⁰⁾.. نعم والله لقد رأيناهم يغدو أحدهم ويروح.. يبيع دينه بأقل من جناح بعوضة.. يمتسي مؤمناً يدرس التوحيد وربما درسه ويصبح يقسم على احترام الدستور بقوانينه الكفرية، ويشهد بنزاهة القانون الوضعي.. ويكثر سواد الظالمين ويلقاهم بوجه منبسط ولسان عذب.. مع أنهم يمرون بآيات الله الليل والنهار تنهاهم عن الركون للظالمين أو طاعتهم والرضى عن بعض باطلهم.. فهم يقرأون هذه الآيات، كقوله تعالى: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار} [هود: 113]، وقوله عز وجل: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم

(10) فائدة مهمة تفضح علماء الحكومات: اعلم عافانا الله وإياك من تلبس الملبسين أن ما يفعله كثير من الجهال وإن لقبوا بالمشايخ وتمسحوا بالسلفية من تلقب كثير من طغاة هذا الزمان بلقب أمير المؤمنين أو إمام المسلمين.. إنما ينهجون بذلك نهج الخوارج والمعتزلة في عدم اعتبار شرط القرشية في الإمام.. راجع في ذلك صحيح البخاري: كتاب الأحكام (باب: الأمراء من قريش)، وغيره من كتب السنة والفقهاء والأحكام السلطانية فإنه أمر معروف لن تجد عناء في مراجعته.. ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن القاضي عياض قوله: اشتراط كون الإمام قرشياً مذهب العلماء كافة وقد عدوها في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيه خلاف وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار. قال: ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم في المعتزلة" اهـ (91/31).

* ثم رأيت الشيخ عبد الله أبا بطين وهو من علماء الدعوة النجدية يرد على بعض المعارضين المنكرين لتلقب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بلقب الإمام وهما غير قرشيين.. يقول: (ومحمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما ادعى إمامة الأمة، وإنما هو عالم دعا إلى الهدى وقاتل عليه ولم يلقب في حياته بالإمام ولا عبد العزيز بن محمد بن سعود ما كان أحد في حياته منهم يسمى إماماً، وإنما حدث تسمية من تولى إماماً بعد موتهما) أهـ. انظر الدرر جزء الجهاد ص240، فانظر إلى هذا العالم الرباني كيف يتبرأ من ذلك وينكره رغم أن المذكورين كانا من دعاة الهدى، ولا يكابر مكابرة كثير من مشايخ الحكومات في هذا الزمان الذين يصرون على تسمية طواغيتهم بالإمام وأمر المؤمنين.. فبشراهم بأهم على نهج الخوارج سائرون.. ذلك الوصف الذي طالما رموا به طلبة العلم ودعاة الحق الذين ينابذون طواغيتهم..

ورموهمُ بغياً بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباحثاً ولذلك عند الغرّ يشتبهُان

وهذا كله بالنسبة لشرط القرشية، فكيف إذا انضم إلى ذلك انعدام العدالة والعلم والحكمة وغير ذلك من شروط الإمامة؟ وكيف إذا عُد الإسلام والإيمان؟ كيف، كيف؟

آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم... { الآية [النساء: 140].

* يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معنى قوله تبارك وتعالى: {إنكم إذا مثلهم}، (الآية على ظاهرها وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فجلس عند الكافرين المستهنئين من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم..) اهـ من الدرر جزء الجهاد ص79.

وقوله عز وجل: {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره} [الأنعام: 68].

* قال الحسن البصري: لا يجوز له القعود معهم خاضوا أو لم يخوضوا لقوله تعالى: {وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين} [الأنعام: 68]، وكذا قوله تعالى: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً} [الإسراء: 74].

* يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: (فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلوات الله وسلامه عليه فكيف بغيره) اهـ. من الدرر جزء الجهاد ص47.

ويقرون قوله تعالى واصفاً المؤمنين: {والذين هم عن اللغو معرضون} [المؤمنون: 3]، وقوله: {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً} [الفرقان: 72].

ويزعمون أنهم على منهج السلف، والسلف كانوا يفرون من أبواب السلاطين ومناصبهم في عهد أرباب الشريعة والهدى لا في عهد الجور والظلمات.. ووالله ما وضع السيف على رقابهم ولا علقوا من أرجلهم وما أجبروا على ذلك.. بل فعلوه مختارين ومنحوا عليه الأموال الطائلة.. والحصانات الدبلوماسية.. فنعوذ بالله من هوى النفوس وطمس البصائر.. وليتهم أعلنوها وقالوا: فعلناها حرصاً على الدنيا.. بل يقولون مصلحة الدعوة ونصر الدين.. فعلى من تضحكون يا مساكين.. أعلننا نحن الضعفاء؟؟ فإننا وأمثالنا لا نملك لكم ضراً ولا نفعاً... أم على جبار السموات والأرضين، الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم سركم ونجواكم..

ولقد سمعناهم يرمون من خالفهم أو انكر عليهم ذلك، بضحالة الفكر وقلة الخبرة وأنهم ليس عندهم حكمة في الدعوة ولا صبر في اقتطاف الثمر أو بصيرة في الواقع والسنن الكونية.. وأنهم ينقصهم علم بالسياسة وعندهم قصور في التصورات.. وما درى هؤلاء المساكين.. أنهم لا يرمون بذلك أشخاصاً محددين، وإنما يرمون بذلك دين جميع المرسلين وملة إبراهيم.. التي من أهم مهماتها إبداء البراءة من أعداء الله والكفر بهم وبطرائقهم المعوجة وإظهار العداوة والبغضاء لمنهجهم الكافرة.. وما دروا أن كلامهم ذلك يقتضي أن إبراهيم والذين معه لم يكن عندهم حكمة بالدعوة ولا دراية بالواقع.. وأنهم كانوا متطرفين متسرعين.. مع أن الله عز وجل قد زكاهم وأمرنا بالتأسي بهم.. فقال: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} [المتحنة: 4]، وقال سبحانه: {ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً} [النساء: 125]، ونزه سبحانه إبراهيم من السفه فوصفه بالرشد فقال: {ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين} [الأنبياء: 51]، ثم ذكر دعوته، بل بيّن سبحانه كما قدمنا أن ملة إبراهيم لا يرغب عنها إلا السفه.. وأنى للسفيه حكمة الدعوة ووضوح التصورات وصحة المنهج واستقامة الطريق المزعومة..؟؟

فصل

واعلم تبتنا الله وإياك على صراطه المستقيم أن هذه البراءة والعداوة التي تقتضي ملة إبراهيم إعلاها وإبداءها لأهل الكفر ومعبوداتهم، تكلف الكثير الكثير..

فلا يظن ظان أن هذه الطريق مفروشة بالورد والرياحين أو مخفوفة بالراحة والدعة، بل هي والله مخفوفة بالمكاره والابتلاءات.. ولكن ختامها مسك وروح وريحان ورب غير غضبان.. ونحن لا نتمنى البلاء لأنفسنا ولا للمسلمين، ولكن البلاء هو سنة الله عز وجل في هذه الطريق، ليميز به الخبيث من الطيب، فهي الطريق التي لا ترضي أصحاب الهوى والسلطان لأنها مصادمة صريحة لواقعهم، وبراءة واضحة من معبوداتهم وشركياتهم.. أما غير هذه الطريق، فإنك تجد أصحابها في الغالب مترفين وللدنيا راكبين، لا يبدو عليهم أثر البلاء، لأن المرء إنما يبتلى على قدر دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.. وأتباع ملة إبراهيم من أشد الناس بلاء لأنهم يتبعون منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.. كما قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم: (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي..). رواه البخاري.. فإن رأيت في زماننا من يزعم أنه يدعو لمثل ما كان يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم ويمثل طريقته، ويدعي أنه على منهجه، ولا يعادى من أهل الباطل والسلطان، بل هو مطمئن مرتاح بين ظهرانيتهم.. فانظر في حاله.. إما أن يكون ضالاً عن الطريق.. لم يأت بمثل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم واتخذ سبلاً معوجة.. أو يكون كاذباً في دعواه يتزيا بما ليس هو أهلاً أن يتزيا به، إما لهوى مطاع وإعجاب كل ذي رأي برأيه.. أو لدنيا يصيبها كأن يكون جاسوساً وعيناً لأصحاب السلطان على أهل الدين.. وهذا الذي قاله ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان مقرراً في نفوس الصحابة عندما بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم، حيث وقف أسعد بن زرارة يذكرهم ويقول: (رويداً يا أهل يثرب، إن إخراجك اليوم مفارقة للعرب كافة، أو قتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصيرون على ذلك، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله) رواه الإمام أحمد والبيهقي.

فتأمل هذا جيداً فإننا في أمس الحاجة إليه في هذه الأيام التي تلبس فيها كل من هبّ ودبّ بلباس الدعوة والدعاة.. فارجع إلى نفسك وزنها، واعرض عليها هذا الطريق وحاسبها على تقصيرها في ذلك، فإما أن تكون من قوم يصيرون على ذلك فخذها بحقيقتها واسأل الله عز وجل أن يثبتك على ما يعقبها من بلاء.. أو إنك من قوم يخافون من أنفسهم خيفة ولا ترى من نفسك القدرة على القيام والصدع بهذه الملة فذر عنك التزبي

بزي الدعاة وأغلق عليك بيتك وأقبل على خاصة أمرك ودع عنك أمر العامة.. أو اعتزل في شعب من الشعاب بغنيمات لك.. فإنه والله كما قال أسعد بن زرارة أعذر لك عند الله، نعم إن ذلك أعذر لك عند الله من أن تضحك على نفسك وعلى الناس إذ لا تقوى على القيام بملة إبراهيم فتتصدر للدعوة بطرق معوجة وتهتدي بغير هدي النبي صلى الله عليه وسلم مجاملاً مدهناً للطواغيت كاتماً غير مظهر للعداوة لهم، ولا لباطلهم.. فوالله ثم والله، إن الذي يعتزل في شعب من الشعاب بغنيمات لهو خير وأهدى سبيلاً منك ساعتئذ.. وصدق من قال:

الصمت أفضل من كلام مدهن نجس السريرة طيب الكلمات

عرف الحقيقة ثم حاد إلى الذي يرضي ويعجب كل طاغ عات

لا تعجبوا يا قوم ممن أخصبوا في هذه الأيام بالكلمات

وعلوا المنابر والصحائف سودوا وتقدموا في سائر الحفلات

والله ما قالوا الحقيقة والمهدى كلا ولا كـشفوا عن الهلكات

أني يشير إلى الحقيقة راغب في وصل أهل الظلم والشهوات

أو طالباً للجاه في عصريئة التقدير للمشهور بالنزوات

فنصيحتي يا قوم ألا تطمعوا في عصرنا بتوفر الرغبات

عيشوا لدين الله لا لحضارة محفوفة بالريب والشبهات

ولقد رأيناهم كثيراً يسخرون ممن تبينت لهم انحرافاتهم وسبلهم المعوجة، فاعرضوا عنهم وعن دعواتهم تلك التي على غير منهاج النبوة.. رأيناهم يسخرون منهم لاعتزالهم.. ويلمزونهم بالقعود والركون إلى الدنيا والتقصير في الدعوة إلى الله... وإذا كان الأمر كذلك، فأية دعوة هذه التي قصر فيها هؤلاء؟ دعوتكم هذه التي تلحون بها الجيش والشرطة، ومجالس الأمة والبرلمانات الشركية وغير ذلك من الوظائف التي تكثر سواد الظالمين، أم تلك التي تدخلون بها مجالس الفاحشة من الجامعات المختلطة والمعاهد والمدارس الفاسدة وغيرها بحجة مصلحة الدعوة فلا تظهرون دينكم الحق وتدعون فيها بغير هدي النبي صلى الله عليه وسلم... أم أنهم قصرُوا في الدعوة الحقّة التي قصر فيها

الفريقان وهي (ملة إبراهيم)، ويحتجون بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" ونحن نقول إن هذا الحديث في الشرق وأنتم عنه في الغرب، حيث إن المخالطة يجب أن تكون على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وليس تبعاً لآرائكم وأهوائكم وأساليب دعوتكم البدعية.. فإن كانت كذلك أي على هديه صلى الله عليه وسلم حصل الأذى والأجر معاً.. وإلا فأى أجر هذا الذي ينتظره من لا يدعو بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد أهمل شرطاً عظيماً من شروط قبول العمل وهو (الاتباع)، وأي أذى ذلك الذي سيلاقيه من لا يظهر العداوة لأهل الفسق والفجور والعصيان، ولا يعلن البراءة من شركياتهم وطرائقهم المعوجة.. بل يجالسهم ويقر باطلهم وييش في وجوههم، ولا يتمعر أو يغضب لله طرفة عين إذا انتهكوا حرمت الله، بحجة الدين والحكمة والموعظة الحسنة، وعدم تنفير الناس عن الدين، ومصالحة الدعوة وغير ذلك، ويهدم الدين عروة عروة بمعاول لينهم وحكمتهم البدعية.

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في رسالة له في الدرر السنية وهو يتكلم عن الصدع بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (وترك ذلك على سبيل المداهنة والمعاشرة ونحو ذلك مما يفعله بعض الجاهلين أعظم ضرراً وأكبر إثماً من تركه لمجرد الجهالة فإن هذا الصنف رأوا أن نيل المعيشة لا يحصل إلا بذلك فخالفوا الرسل وأتباعهم وخرجوا عن سبيلهم ومنهاجهم، لأنهم يرون العقل إرضاء الناس على طبقاتهم ويسالمونهم ويستجلبون مودتهم ومحبتهم، وهذا مع أنه لا سبيل إليه فهو إثارة للحظوظ النفسانية والدعة ومسالمة الناس وترك المعادة في الله وتحمل الأذى في ذاته وهذا في الحقيقة هو الهلكة في الآجلة، فما ذاق طعم الإيمان من لم يوال في الله ويعاد فيه، والعقل كل العقل ما أوصل إلى رضى الله ورسوله، وهذا إنما يحصل بمراغمة أعداء الله وإثارة مرضاته، والغضب إذا انتهكت محارمه. والغضب ينشأ من حياة القلب وغيرته وتعظيمه وإذا عدم الحياة والغيرة والتعظيم وعدم الغضب والاشتمزاز، وسوى بين الخبيث والطيب في معاملته ومولاته ومعاداته فأى خير يبقى في قلب هذا...) اهـ. من جزء الجهاد ص35.

وتجد بعضهم يضحكون على أتباعهم من الشباب ويحاربون العزلة على الإطلاق ويردّون النصوص الثابتة في ذلك.. ويتغنّون بشعر ابن المبارك رحمه الله تعالى حين أرسل إلى الفضيل يقول:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب

... إلى آخر الآيات.

ولو أبصرهم عابد الحرمين وأبصر دعواتهم هذه المعوجة فلعله يقول: (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً)...

وأنا أقول: شتان بين دعواتكم وطرائقكم هذه وبين جهاد ابن المبارك وأولئك الصالحين، حتى تنافسوا بها عبادة الصالحين.. بل وربما لو أبصر ابن المبارك دعواتهم هذه لأرسل للفضيل يقول:

يا عابد الحرمين لو أبصرتهم

لحمدت أنك بالعبادة غائب

من كان لا يدعو بهدي نبيه

فهو الجهول بدينه يتلاعب

فصل

نعم.. إن ملءة إبراھيم تكلف الكثير.. ولكن بما يتعلق نصر الله والفوز الكبير.. وبما يميز الناس إلى فريقين.. فريق إيمان، وفريق كفر وفسوق وعصيان.. وبما يتضح أولياء الرحمن من أولياء الشيطان.. وهكذا كانت دعوة الأنبياء والمرسلين.. لم تكن عندهم هذه الأوضاع المرضية التي نعيشها اليوم من اختلاط الحابل بالنابل، والصالح بالطالح، ومداهنة ومجالسة أهل اللحن لأهل الفسق والفجور وإكرامهم وتقديرهم وتقديمهم على أهل التقى والصلاح.. رغم إظهار أولئك بغض الدين وعداوته بصور شتى وتربصهم بأهله الدوائر.. بل كانت دعواتهم براءة واضحة من أقوامهم المعرضين عن شرع الله، وعداوة ظاهرة لمعبوداتهم الباطلة، لا التقاء في وسط الطريق ولا مداهنة ولا مجاملة في تبليغ شرع الله...

* واستمع إلى نوح في عمق الزمان، وهو يخاطب قومه وحيداً لا يخشى سلطاتهم ولا طغيانهم.. يقول: {يا قوم إن كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا إلي ولا تنظرون} [يونس: 71].

وهل يقول مثل ذلك رجل مداهن لقومه... إنه كما يقول سيد قطب رحمه الله: (التحدي الصريح المثير، الذي لا يقوله القائل إلا وهو مالىء يديه من قوته، واثق كل الوثوق من عدته، حتى ليُعري خصومه بنفسه، ويحرضهم بمثيرات القول على أن يهاجموه، فماذا كان وراء نوح من القوة والعدة؟...) اهـ. كان معه الله، وكفى بالله هادياً ونصيراً... وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في مطلع هذه الآيات أن يتلو ذلك على قومه، فقال: {واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه...} [يونس: 71].

* وانظر إلى هود صلى الله عليه وسلم وهو يواجه قومه الذين كانوا أشد الناس قوة وأعتاهم بطشاً، يواجههم وحده.. ولكن بثبات كثبات الجبال أو أشد.. استمع إليه وهو يعلن براءته واضحة جلية من شركياتهم ويسمعهم كلماته الخالدة: {إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون، من دونه، فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون} [هود: 55]. يقول لهم ذلك وهو رجل واحد... كيدوني بعددكم وجيشكم وأهتكم الباطلة.. {إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم} [هود: 56].

وإلى الذين يتشدقون بكثير من كلام سيد رحمهم الله تعالى، في الوقت الذي يحرصون بل يتسابقون فيه على استجداء الطواغيت المعرضين عن شرع الله من أجل أن يحكموا شرع الله في بعض القضايا، أو كي يمنحهم إذناً للدعوة إلى الله أو من أجل الحصول على مقاعد في مجالس الشرك والفسوق والعصيان... إلى هؤلاء نسوق كلام سيد حول هذه الآيات.. حيث يقول: (إنها انتفاضة التبرؤ من القوم وقد كان منهم وكان أحاهم وانتفاضة الخوف من البقاء فيهم وقد اتخذوا غير طريق الله طريقاً.. وانتفاضة المفاصلة بين حزين لا يلتقيان.. وهو يشهد الله ربه على براءته من قومه الضالين وانعزاله عنهم وانفصاله منهم. ويشهدهم هم أنفسهم على هذه البراءة منهم في وجوههم، كي لا تبقى في أنفسهم شبهة من نفوره وخوفه أن يكون منهم!

وإن الإنسان ليدهش لرجل يواجه هؤلاء القوم الواثقين بألتهم المفترة هذه الثقة، فيسفه عقيدتهم ويقرعهم عليها، ثم يهيج ضراوتهم بالتحدي، لا يطلب مهلة ليستعد استعدادهم، ولا يدعهم يترثون فيفتأ غضبهم. إن أصحاب الدعوة إلى الله في كل مكان وزمان بحاجة إلى أن يقفوا طويلاً أمام هذا (الموقف) الباهر.. رجل واحد، لم يؤمن معه إلا القليل، يواجه أعتى أهل الأرض وأغنى أهل الأرض وأكثر أهل الأرض حضارة مادية في زمانهم.. فهم العتاة الجبارون الذين يبطشون بلا رحمة، والذين أبطرتهم النعمة، والذين يقيمون المصانع يرجون من ورائها الامتداد والخلود... إنه الإيمان والثقة والاطمئنان.. الإيمان بالله، والثقة بوعدده، والاطمئنان إلى نصره.. {إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم} [هود: 56].. وهؤلاء الغلاظ الأشداء من قومه إن هم إلا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربه بناصيتها ويقهرها بقوته قهراً.. فما خوفه من هذه الدواب وما احتفاله بها؟ وهي لا تسلط عليه إن سلطت إلا بإذن ربه؟ وما بقاؤه فيها وقد اختلف طريقها عن طريقه؟ أهـ مختصراً من الظلال.

هكذا كانت أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، مع أقوامهم المعاندين.. وهكذا كانت دعوتهم، صراع دائم مع الباطل، ووضوح في الدعوة، وإعلان للعداوة والبراءة.. ولم تعرف دعواتهم المداهنة أو الرضى عن بعض الباطل أو الالتقاء معه في وسط الطريق.

فمعاودة أهل الحق للباطل وأهله ومفارقتهم لهم قضية قديمة جداً افترضها الله منذ أن أهبط آدم صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأرض.. وشاءها الله قدراً وشرعاً لتمييز أوليائه من أعدائه وحزبه من حربته والخبيث من الطيب ويتخذ من المؤمنين شهداء.. فقال جلّ

وعلا: {اهبطوا بعضكم لبعض عدو} [الأعراف: 24]، وعلى هذا مضت وسارت قافلة الرسل جميعاً وهذا هو دينهم كما عرفت، قال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن} [الأنعام: 112]، وقال سبحانه: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين} [الفرقان: 31]، فمنهم من قص الله علينا قصصهم مع أعدائهم ومنهم من لم يقصص... ويؤيد هذا أيضاً حديث أبي هريرة المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (... والأنبيا أولاد علات..) والعلة هي الضرة مأخوذة من العلل وهي الشربة الثانية بعد الأولى: وكان الزوج قد علّ منها بعد ما كان ناهلاً من الأخرى. وأولاد العلات أولاد الضرات من رجل واحد.. يؤيد أن الأنبياء أصل دينهم ودعوتهم وطريقهم واحد وفروعهم مختلفة.

* وهكذا كان خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وهو الذي جاء في وصفه أنه "فرق بين الناس" رواه البخاري، وفي رواية: "فرق بين الناس". فقد استجاب لأمر الله تعالى باتباع ملّة إبراهيم عليه السلام، فما سكت عن الشرك وأهله أو داهنهم أو حاملهم أو غير ذلك.. بل كان في مكة على قلة أتباعه. واستضعافهم يعلن براءته من الكفار ومعبوداتهم الباطلة.. ويسفهاها ويقول كما أمره الله تعالى أن يقول متبرئاً من الشرك ومصرحاً بكفر أهله وبراءتهم من دينه وبراءة دينه منهم:

{قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين} [الكافرون: 1-6]. ويصرح لهم بأنه ثابت على طريقته هذه بريء ممن خالفها وأنه من المؤمنين الذين هم أعداء لهم ولدينهم: {قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين} [يونس: 104]. ويقول تعالى مخاطباً له: {وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون} ويقول سبحانه معلماً المؤمنين أن يقولوا: {الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم} [الشورى: 51].

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد أصحابه: (اقرأ {قل يا أيها الكافرون}، ثم نم على خاتمها فإنها براءة من الشرك). وجاء في "رسالة أسباب نجات السؤل من السيف المسلول" ما ملخصه: "إن كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) قيّدت بقيود ثقال فإمام الحنفاء صلى الله عليه وسلم لم يكتف بمجرد قولها ولم تتم له المحبة والموالاتة وهو إمام الحيين إلا بالمعاداة. كما يخبر تعالى عنه: {أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين}

[الشعراء: 77]، وهذا هو معنى قول (لا إله إلا الله) كما قال تعالى: {وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون} [الزخرف: 28]، فأورثها إمام الحنفاء صلى الله عليه وسلم لاتباعه يتوارثها الأنبياء بعضهم عن بعض فلما بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمره الله بقولها كما قالها أبونا إبراهيم فأنزل الله عز وجل بها سورة كاملة هي سورة الكافرون" اهـ. من مجموعة التوحيد.

وقد صدع بها النبي صلى الله عليه وسلم وأعلنها وما كتمها، وتحمل هو وأصحابه ما نالهم من أذى على ذلك وما داهنهم لأجل ذلك، وحاشاه من أن يداهنهم، وإنما كان يثبت أولئك المؤمنون ويذكرهم بوعد الله تعالى وحنته، ومواقف أهل الثبات ممن كانوا قبلهم، كقوله: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) رواه الحاكم وغيره.

وقوله لخباب: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)⁽¹¹⁾.

يقول لأصحابه ذلك.. وفي الوقت نفسه يقول لقريش كما أمره الله تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين} [فصلت: 6] والآيات مكية. ويقول: {قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون* إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين* والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون} [الأعراف: 195-197] والآيات مكية.

(11) رواه البخاري وغيره، وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه، يثبت أصحابه ويذكرهم دوماً بأخبار أهل الثبات، حتى إذا ما ابتلي أحدهم في الله بلاء شديداً، لا يطيقه، ووقع فيما وقع فيه عمار رضي الله عنه، ذكر له عفو الله عن ذلك وترخيصة فيه... لا كأحوال كثير من دعاة زماننا، يدندون على أحاديث الرخص والإكراه والضرورات طوال حياتهم، وكل أيامهم في غير مقامها، ويلجئون بحجتها في كل باطل، ويكثرون سواد حكومات الكفر والإشراك، دونما إكراه أو اضطرار حقيقيين... فمتى يظهر الدين؟؟

لذلك كله ولأجل أن دعوته كانت كذلك فإن الظالمين ما رضوا عنه يوماً ما، ولا طابت أنفسهم أو قرت أعينهم بدعوته.. بل ثارت ثائرتهم وقامت قيامتهم.. وكم ساوموه.. ولكنه وقف شامخاً ينظر إلى باطلهم وجموعهم التي يكيدونه بها، ويرفع مع حرصه على هدايتهم عن الالتقاء معهم على الباطل في منتصف الطريق أو اتباع قليل من بعض ما يهوونه أو يجبونه من باطلهم.. بل كان يقول لهم بعد ذلك ودائماً كما أمره ربه أن يقول: **{قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد}** [آل عمران: 12].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بعدما ذكر بعض مواقف الصدع والثبات لأصحاب النبي صلى الله عليه: "فهذه حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لقوا من المشركين من شدة الأذى، فأين هذا من حال هؤلاء المفتونين الذين سارعوا إلى الباطل وأوضاعوا فيه وأقبلوا وأدبروا وتوددوا وداهنا وركنوا وعظموا ومدحوا؟ فكانوا أشبه بما قال الله تعالى: **{ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً}** [الأحزاب: 14]، نسأل الله تعالى الثبات على الإسلام، ونعوذ به من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن المعلوم أن الذين أسلموا وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به لولا أنهم تبرؤوا من الشرك وأهله وبادروا المشركين بسبب دينهم وعيب آلتهم لما تصدوا لهم بأنواع الأذى... أهـ. من الدرر - جزء الجهاد ص(124).

* يقول الشيخ حمد بن عتيق عند كلامه على سورة (البراءة من الشرك): "فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه ودين الذي أنا عليه أنتم براء منه، والمراد التصريح لهم بأنهم على الكفر، وإنه بريء منهم ومن دينهم، فعلى من كان متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك، ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك، ولهذا لما علم الصحابة بذلك، وآذاهم المشركون، أمرهم "بالهجرة إلى الحبشة ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين لما أمرهم بالهجرة إلى بلد الغربة" أهـ. من سبيل النجاة والفكاك. ص(67).

وهنا شبهة يرددها أكثر ما يرددها من لم يفقه مللة إبراهيم عليه السلام ولم يعرف مضمونها وذلك قول كثير من الجهال إن مللة إبراهيم منسوخة في حقنا، ويستدلون على ذلك بالأصنام التي كانت حول الكعبة والتي لم يكسرها صلى الله عليه وسلم بزعمهم طوال مكوثه في مكة عهد الاستضعاف.. حتى أنني سمعت أحد هؤلاء وهو من المشايخ المعروفين وقد ملأت كتبه الأسواق، سمعته في محاضرة مسجلة له، يتبجح ويقول ما مجمله:

(إن الرسول صلى الله عليه وسلم أول من أعرض عن مللة إبراهيم هذه التي تريدونها إذ جلس في مكة ثلاث عشرة سنة بين تلك الأصنام لم يحطمها... فنقول له ولأمثاله: إن الذي صدكم عن فهم مللة إبراهيم ومعرفتها هو انكماش أفهامكم وضيق أفق أذهانكم بحصركم لها في تكسير الأصنام، وظنكم أن مللة إبراهيم التي نقصدها مستوحاة فقط من فعله صلى الله عليه وسلم حين راغ على أصنام قومه ضرباً باليمين، فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون.. ولما لم يثبت عندكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك مع أصنام قومه.. أمسست هذه المللة في أنظاركم الضيقة منسوخة في حقنا كلها، ولا تناولنا في شيء من الأشياء، وبالتالي فلازم قولكم هذا أن كل ما جاء من الآيات المتقدمة الذكر في الحث على اتباع مللة إبراهيم والتحذير من الإعراض عنها وتفصيل دعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، وموقفهم من أقوامهم ومواقف الأنبياء وغيرهم مع أقوامهم.. كل ذلك عبث وزيادة لا طائل تحتها ولا فائدة من ورائها في كتاب الله، سبحانه ربنا هذا بهتان عظيم.. ورحم الله ابن القيم إذ يقول:

من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان

وتنزه الله وتعالى عن العبث وعن أن يكون في كتابه جل وعلا ما لا فائدة من ذكره.. ومثل هذه الأغاليط ليست من الشبهات التي تستحق طول الرد والتفصيل وما هي إلا تناقضات في أذهان أصحابها حالت دون فهمهم لهذه المللة العظيمة بتفاصيلها.. خاصة وقد علمت فيما تقدم مللة إبراهيم وفهمت مضمونها وما يراد بها.. فعلمت أنها أصل الإسلام ومعنى لا إله إلا الله وأن فيها ما حوته هذه الكلمة من النفي والإثبات وهما التبرؤ من الشرك وأهله وإظهار العداوة لهم، وإخلاص العبادة لله وحده وموالاته أوليائه، وعلمت أن هذا أصل الدين فهو شرع محكم لو اجتمع على دفعه من بأقطارها من عالم وجاهل لما قدروا على رده بحجة أصلاً، وبيننا لك أن الله تعالى ذكر لنا حال إبراهيم صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين مع قومهم، وكيف تبرؤوا منهم وأظهروا لهم العداوة والبغضاء.. وأنه سبحانه قال قبل ذكر موقفهم هذا مباشرة: **{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه}** [المتحنة: 4]، وقال سبحانه بعد ذلك أيضاً: **{لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر}** [المتحنة: 6]، ثم قال سبحانه.. وتنبه لما قال: **{ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد}** [المتحنة: 6]، وعلمت أيضاً أن هذا هو أصل مللة إبراهيم التي نقصدها وندعو إليها ونرى أكثر أهل الأرض مقصرين فيها.. وعلمت أنها الطريق الذي فيه نصر الله عز وجل وإعزاز دينه وتحطيم الشرك وأهله.. وإذا كان الأمر كذلك.. فالرد على هذه الطريق إذاً يكون بأن يصحح ذلك الشيخ عبارته المذكورة فيقول: (إن النبي صلى الله عليه وسلم مكث ثلاث عشرة سنة في

مكة بين تلك الأصنام لا يتبرأ منها ولا يظهر الكفر بها والعداوة لها) ليقال له بعدها؛ عد نفسك نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً، أو ما شئت، أما مللة الإسلام فقل لها عليك السلام...

ونقول: أما تحطيم الأصنام حقيقة وحسياً كما فعل إبراهيم فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعل شيئاً منه حينما تمكن من ذلك وقدر عليه في غفلة من كفار قريش، ولا أعني بعد الفتح بل في مكة في عهد الاستضعاف، كما روى الإمام أحمد وأبو يعلى والبخاري بإسناد حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس وصعد على منكبي فذهبت لأهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال: اصعد على منكبي. قال فصعدت على منكبيه، قال فنهض بي قال فإنه يجيل إلي أبي لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقدف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى تواريها بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس) وبوب له الهيثمي في مجمع الزوائد: (باب تكسيره صلى الله عليه وسلم الأصنام) وذكر رواية (كان على الكعبة أصنام فذهبت أحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أستطع فحملني فجعلت أقطعها...) وفي رواية زاد (فلم يوضع عليها بعد، يعني شيئاً من تلك الأصنام) قال: ورجال الجميع ثقات.. وذكره أبو جعفر الطبري في (تهذيب الآثار) وتكلم على بعض الفوائد الفقهية فيه، أنظر ص 236 إلى ص 243 من مسند علي فيه..

لذلك فنحن لا نتخرج أبداً من القول بأن ذلك مطلوب منا أيضاً حال القدرة عليه في عهد الاستضعاف وغيره.. سواء كان ذلك الصنم تمثالاً أو قبراً أو طاغوتاً أو نظاماً.. أو غيره، حسب تنوع الصور واختلافها في كل زمان ومكان.. وأقصد بذلك الجهاد والقتال وهو أعلى مراتب إظهار العداوة والبغضاء لأعداء الله...

ومع ذلك نقول لو سلمنا جدلاً أنه لم يصح عن النبي ﷺ تحطيم الأصنام في مكة زمن الاستضعاف.. فإنه صلوات الله وسلامه عليه كان متبعاً لملة إبراهيم أشد الاتباع أخذاً بما بقوة.. فما داهن الكفار لحظة واحدة وما سكت عن باطلهم أو عن آهتهم.. بل كان همه وشغله الشاغل في تلك الثلاث عشرة سنة بل وغيرها هو {اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: 36].

فلا يعني كونه جلس بينها تلك الثلاث عشرة سنة أنه مدحها أو أثنى عليها أو أقسم على احترامها كما يفعل كثير من الجهال المنتسبين إلى الدعوة مع الياسق العصري في هذا الزمان.. بل كان يعلن براءته من المشركين وأعمالهم، وييدي كفره بأهنتهم رغم استضعافه واستضعاف أصحابه.. وقد فصلنا لك هذا فيما مضى ولو تأملت القرآن المكي، لوضح لك مثل ذلك الكثير.. منه على سبيل المثال، قوله تعالى واصفاً حال نبيه ﷺ في مكة مع الكفار: {وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا. أهذا الذي يذكر آهنتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون} [الأنبياء: 36]، قال ابن كثير: (يعنون أهذا الذي يسب آهنتكم ويسفه أحلامكم.. إلى غير ذلك).

وإليك أيضاً ما جاء في مسند الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح في صفته وحاله صلى الله عليه وسلم في مكة زمن الاستضعاف.. تأمله وتدبره وانظر كيف يصف الكفار نبينا صلى الله عليه وسلم بسب آهنتهم وتسفيه أحلامهم و.. وانظر إليهم وهو يحيطون به وحيداً فريداً يقررونه بما يقول ويقولون له: (أنت الذي تقول كذا وكذا؟) فيرد عليهم دون مدهانة أو مهابة أو خوف أو وجل، بل بكل صلابة وثبات ووضوح: (نعم، أنا الذي أقول ذلك).

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال يعقوب: حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال: وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله ابن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سقاه أحلامنا. وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آهنتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، قال: فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مر بهم، غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فمر بهم الثانية، فغمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: (تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح) فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاه قبل ذلك ليرفوه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتكم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه! فبينما هم في ذلك، إذ طلع [عليهم] رسول الله

صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، أنا الذي أقول كذا، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، دونه يقول وهو يبكي: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟). ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط" اهـ. (7036 من المسند تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح) وهو كما قال. وفي رواية أخرى في المسند أيضاً (204/2) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في المرة الثانية في صلاة عند الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب النبي صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم).

فتأمل حال النبي صلى الله عليه وسلم الذي وصفته الملائكة كما في صحيح البخاري: (أنه صلى الله عليه وسلم فرّق بين الناس) تأمل حاله هذه مع كفار زمانه وكيف أنها عداوة ظاهرة لكل من عادى الدين، وافتراق طريق، وبراءة واضحة.. وليس كأوضاع أهل زماننا الشاذة من ركون أهل الدين لأهل الباطل.. داهنهم وجاملوهم بل وآزروهم وناصرهم ولم تعد القضية قضية عداوة ولا براءة، بل تعاون وتكاتف لصالح الوطن والمجتمع وجلسوا في أحضانهم ورضعوا من ألبانهم.. فالله المستعان.

* يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن وهو يتكلم عن أمثال هؤلاء: (خاضوا في غمرات الافتتان واطمأنت قلوبهم إلى أهل الظلم والعدوان، وأكثروا التردد عليهم والمسير إليهم طوعاً واختياراً وتعرضوا لما في أيديهم من حطام الدنيا سراً وجهاراً، فأين القلب المطمن بالإيمان إذا كان مدعيه يجري مع الهوى في كل ميدان، فما أشبه حال هذا وأمثاله بالضرب الذين ذكرهم العلامة ابن القيم رحمه الله وهم الذين لهم أوفر نصيب من قوله تعالى: {ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم} [آل عمران: 188]، يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص، وهذا أكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والعبادة عن الصراط المستقيم) اهـ الدرر - جزء الجهاد ص 127.

* وها هنا مسألة قد يرد فيها إشكال على البعض، وهي كيفية الجمع بين عيبه صلى الله عليه وسلم آلهتهم ودينهم كما في هذا الحديث وغيره، وبين قوله تعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم} [الأنعام: 108]، فنقول

وبالله التوفيق: أن كل ما ذكرناه مما تقدم في تفصيل مللة إبراهيم من عيب الآلهة الباطلة وتسفيهاها والخط من قدرها وإن سماه البعض سباً.. فإنه ليس سباً مجرداً وإنما أصل المقصود به بيان التوحيد للناس وذلك..

* بإبطال ألوهية هذه الأرباب المتفرقة المزعومة والكفر بها وبيان زيفها للخلق: كقوله تعالى: {إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين * ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون * إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين * والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون} [الأعراف: 194-197]، وقول إبراهيم عليه السلام: {يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً} [مریم: 42]، وقوله تعالى في سورة النجم: {أفأرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس وقد جاءكم من ربكم الهدى} [النجم: 19-22]. وكذا كل ما جاء في وصف هذه الآلهة كبيان أنها لا تستحق العبادة أو تسميتها بالطاغوت أو جعل عبادتها طاعة للشيطان وإنما وإياهم حصب جهنم.. وغير ذلك.

* وكذلك القيام بهذا التوحيد عملياً بإظهار عداوتها وبغضها والبراءة منها والكفر بها، كقوله تعالى عن إبراهيم: {قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين} [الشعراء: 75-77]. وقوله: {قال يا قوم إني بريء مما تعبدون..} [الأنعام: 78]، وما تضمنته سورة البراءة من الشرك من معانٍ وغير ذلك مما قدمناه.. فذلك كله لا يدخل في السب المجرد الذي نمت عنه الآية المذكورة، والذي من طبيعته أن يستثير الخصم ويهينه ويعيره فقط دون فائدة أو بيان، فيسب الله عز وجل عدواً وجهلاً وربما دون قصد، خاصة فيمن يعتقد بالربوبية ككفار قريش، وكذلك الحال بالنسبة لعبيد الياسق.. فإن مللة إبراهيم تقتضي أن يحذر من ياسقهم ويعادى ويبغض ويدعى الناس إلى الكفر به والبراءة منه ومن أوليائه وعبيده المصرين على تحكيمه، بذكر فضائحه وكشف زيوفه وبطلان أحكامه ومصادمتها الصريحة لدين الله بإباحتها للردة والربا وتسهيلها للفاحشة والفجور وتعطيلها لحدود الله كحد الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر واستبدال القوانين الفاجرة الكافرة بهذه الحدود العظيمة.. وما إلى ذلك وهو كثير جداً.. فهذا كله لا يدخل فيما نمت عنه الآية وإن سماه عبید الياسق وسدنتهم سباً.. أو إطالة لسان بل الواجب كما عرفت مما تقدم أن يظهره الدعاة ويصدعوا به.. أما

سبهم وسب حكوماتهم وحكامهم وداستيرهم سباً مجرداً هكذا للإستشارة المجردة.. فهو المنهي عنه لما يترتب عليه من سب أولئك الجهال للسباب ولدينه وطريقته وإن كانوا ينتسبون إلى الإسلام زوراً ومهتاناً.. ويشهدون بربوبية الله وربما يوحدهونه ببعض أنواع ألوهيته دون الحكم والتشريع.. كما ذكر المفسرون: **{فيسبوا الله}** أي فیسبوا أمرکم بسببها فيعود ذلك على الله جهلاً وعدواً بغير علم، كما قد يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، وربما كانا أخوين لأب واحد، فالغيظ والغضب والاستشارة المجردة تعمي الخصم عن التفكير والتدبر وتستسيبه؛ أي تحمله على السب.. قال محمد رشيد رضا في تفسيره: (الباعث على العمل هنا هو إرادة السب التي يُقصد بها إهانة المسبوب، فإن هذا الساب لا يتوجه قصده إلا إلى إهانة مخاطبه الذي سبه) اهـ. بخلاف تدخيل العقل، والدعوة إلى إعماله ومخاطبته ولفت انتباهه إلى زيف هذه الآلهة وكونها لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تقرب ولا تشفع ولا تغني عن أنفسها وأتباعها شيئاً.. وتأمل قصة إبراهيم مع قومه وكيف يلفت فيها انتباههم إلى زيف تلك الآلهة المزعومة، ويستشيرهم لا بمجرد الاستشارة أو الإهانة بل ليفكروا ويتصادموا مع عقولهم في ذلك.. وتأمل كيف يفتضح أمرهم بذلك وينتكسوا ويتناقضوا ويتخطوا.. فيقول لهم عند ذلك معنفاً: **{أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون}** [الأنبياء: 67].

ولو تأملت قول عبد الله بن عمرو راوي الحديث السابق حين ذكر قول قريش للنبي صلى الله عليه وسلم (أنت الذي تقول كذا كذا) قال مفسراً لذلك: (لما بلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم). والعيب عند العرب سب أو كالسب وقد عده ابن تيمية رحمه الله تعالى كذلك في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول في (بيان أقسام السب) ص 528 وغيرها.. ولكنه في هذا الموضوع ليس سباً مجرداً كما عرفت.. فالنبي صلى الله عليه وسلم كان قائماً بدعوة التوحيد التي أرسله الله بها وبملة إبراهيم التي أمره سبحانه باتباعها. وهذا كله سب عند أولئك المشركين، لأنه يبطل لدينهم وتنقص لآلهتهم المزعومة بتجريدها من صفات الألوهية التي ينعوتونها بها.. وهذا هو عيب آلهتهم الذي ذكروه.. وكذلك وصف آباءهم بالضلال ليس استشارة مجردة لذاها، بل لزرهم عن تقليدهم ونهيه عن متابعتهم على ضلالهم.. نقل القاسمي في تفسيره عن الرازي قوله: (وفي الآية تأديب لمن يدعو إلى الدين، لئلا يتشاغل بما لا فائدة له في المطلوب، لأن وصف الأوثان بأنها جمادات لا تضر ولا تنفع، يكفي في القدح في إلهيتها فلا حاجة مع ذلك إلى شتمها) اهـ... ولكن ذلك أيضاً لا يرضي الكفار ولا يعجبهم وإن لم يكن سباً مجرداً، فهو نفس لآلهتهم وكفر بها.. لذا سموه سباً، كما سمو آباءهم بالضلال، شتماً حيث قالوا: (سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا...).

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الموضوع الثاني من المواضع الستة التي ذكرها في السيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم فحينئذ شتموا له ولأصحابه عن ساق العداوة وقالوا: سفه أحلامنا وعاب ديننا وشتم أهنتنا، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين ولكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا ذلك شتماً أهـ.

والخلاصة أن ذلك كله لا يدخل في السب المجرد الذي نهى الله عنه في الآية، ولا هو مقصود بها، حتى ولو ترتب على مثله أن يسب الكافر الله أو الدين عدواً، فليس للمسلم أن يترك لأجله ما أوجب الله عليه من الصدع بالتوحيد وإظهار الدين فالسب هنا لا يكون إلا عدواً بعلم، لورود الحجة والبيان، وإلا لو حسبنا حساباً لمثل ذلك، لتركنا ديننا كله وتنازلنا عنه لسواد عيون الكفار.. لأنه كله قائم على أصل الإيمان بالله والكفر بكل طاغوت... فتنبه.. وقس على ذلك ما يقال في هذه الطواغيت العصرية.. من دساتير ومناهج وقوانين وحكام وغيرهم.. ولا تقصر المعنى على الأصنام الحجرية، فُتَحَجَّرَ واسعاً..

* فهذه القاعدة إذاً إنما تكون صواباً في المباحات والمستحبات لا في الواجبات فلا يُترك واجب من واجبات الدين كبيان التوحيد وإبطال دين المشركين سداً لهذه الذريعة. كما قد يفهم البعض.. ولو توسعنا في ذلك لأضعنا جُلَّ ديننا.. لذا قال أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن، ص 473: (المسألة الثانية): (هذا يدل على أن للمحقق أن يكف عن حق يكون له إذا أدى ذلك إلى ضرر يكون في الدين، وهذا فيه نظر طويل، اختصاره أن الحق إن كان واجباً فيؤخذ بكل حال، وإن كان جائزاً ففيه يكون هذا القول والله أعلم) أهـ. ويقول محمد رشيد رضا: ({ومنها} ما نُقل عن أبي منصور قال: كيف نهانا الله تعالى عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه، وقد أمرنا بقتالهم وإذا قاتلناهم قاتلونا، وقتل المؤمن بغير حق منكر؟ وكذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والتلاوة عليهم وإن كانوا يكذبونه... وأجاب عنه: بأن سب الآلهة مباح غير مفروض، وقاتلهم فرض وكذا التبليغ، وما كان مباحاً ينهى عما يتولد منه ويحدث، وما كان فرضاً لا ينهى عما يتولد عنه..) أهـ. وبمثل ذلك يُردّ على من احتج لإبطال ما ذكرناه من وجوب إظهار الدين، بما رواه البخاري في صحيحه، أن قوله تعالى: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها} [الإسراء: 110]. أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة. فكان إذا رفع صوته سمع المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، وقال الله تعالى: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها} [الإسراء: 110]، لا تجهر بصلاتك حتى يسمع المشركون. ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تُسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلاً.

فالدعوة إلى الله قائمة ودين المسلمين ظاهر ودعوتهم لنبذ الأوثان معلومة لكل أحد في مكة وبراءتهم منها بيّنة بادية، وإذا كان الأمر كذلك فترك الجهر بقراءة القرآن عند تلاوته، لدفع هذه المفسدة لا يطفىء نور الدعوة ولا يؤثر فيها تأثيراً سلبياً أبداً.. فالقرآن ينتشر في كل مكان رغم أنوف المشركين.. وملة إبراهيم معلنة لدرجة أن كل من يعلن إسلامه يسمى بالصابي، أي الكافر بدينهم وبأوثانهم، والأمر في غاية الوضوح لا لبس فيه ولا إشكال.. أضف إلى ذلك أن رفع الصوت بالقراءة في الصلاة ليسمعه غير المصلين ليس واجباً من واجبات الصلاة، فجاز تركه سداً لهذه الذريعة، طبقاً لقاعدتها المذكورة الخاصة بترك المباحات والمستحبات دون الواجبات، فليس هذا تركاً لواجب بل يكفي في ذلك أن يسمع الإمام من يصلي خلفه وهو ما أمر الله تعالى به رسوله في قوله: **{ولا تخافت بها}** أي عن أصحابك.

* وهناك شبهة أخرى قد يحتج بها البعض.. وهي إيواء أبي طالب للنبي ﷺ الذي امتن الله عز وجل به عليه فقال: **{ألم يجدك يتيماً فأوى}** [الضحى: 6]، وكذا قصة حوار وأمان الكافر للمسلم وأمثله كثيرة، من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن حوار ابن الدغنة لأبي بكر في مكة.. وكذا النجاشي وإيوائه للمسلمين وهو على نصرانيته قبل إسلامه... وما شابهه... وخلاصة هذه الشبهة: (كيف يرضى المسلم في مثل هذه الأحوال بإيواء وحماية وحوار الكافر المخالف له في عقيدته ومنهجه؟؟ أفلا يتناقى هذا مع مللة إبراهيم في البراءة من المشركين...؟).

فنقول وبالله التوفيق: أن لا تعارض في هذه الأمثلة المذكورة مع مللة إبراهيم، ودعوة الأنبياء والمرسلين وذلك لأن الأمر كما قدمنا لك من قبل قسماً:

الأول: البراءة من آهتهم الباطلة والكفر بطواغيتهم التي تعبد من دون الله عز وجل.

الثاني: عداوة المشركين المعاندين المصيرين على باطلهم.. وقدمنا أيضاً أن الأول مطلوب من المسلم منذ أول خطوة في الطريق دون توان أو تأخير، بل يجب أن يعلن ويظهر ويبدى من قبل طائفة من المسلمين كي يعرف الناس به أصل الدعوة، ويشتهر حتى يصبح بدهية يوصف بها كل من يدخل في هذا الدين..

أما الثاني، فلا يبدى أو يعلن، إلا بعد الإصرار على الباطل وعداوة الحق وأهله. فأبو طالب مثلاً.. على الرغم من بقاءه على الكفر لم يكن مظهراً للعداوة والبغضاء للحق وأهله، بل على العكس من ذلك فقد كان رداً مدافعاً عن صاحب الحق ورسوله صلى

الله عليه وسلم كما وصفه العباس رضي الله عنه في حديث البخاري حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك وينصرك ويغضب لك... الحديث) وإن كان ذلك في عصبية ولروابط نسبية وراجع في ذلك ما ذكره العلامة الشنقيطي في أضواء البيان المجلد الثالث (ص 41، 43، 406، 407) في تأييد الدين بالرجل الفاجر وبالروابط العصبية والأواصر النسبية مع بطلان هذه الروابط وبطلان الود على أساسها وحدها... والشاهد من ذلك أن مثل هذا النصير أو المحير.. يبقى الأمل وارداً في هدايته واتباعه للحق إلى آخر لحظة ما دام لا يقف مع الصف المعادي المحارب له بل يقف مدافعاً عن بعض أتباعه... فكيف إذا أضيف إلى ذلك كونه من خاصة الداعية وقرابته الذين يتعلقون به... ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يئأس من دعوة عمه الذي كان يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب ديننا
فاصدع بأمرك ما عليك
أبشر بذاك وقر منه عيوننا

وقبل ذلك كله، هناك أمر آخر... وهي النقطة الأولى والمهمة في الموضوع.. أن النبي صلى الله عليه وسلم مع موقف عمه المدافع هذا، لم يكن ليداهنه على حساب دعوته ودينه، بل كان عمه يعرف بدعوته صلى الله عليه وسلم ويسمع بعداوته ويعيبه لأهنتهم الباطلة، وقد حاولت قريش معه للضغط على النبي صلى الله عليه وسلم ليكف عن دعوته وعن عيب آهنتهم وتسفيه أحلامهم، وعندما حاول أبو طالب السعي لمثل ذلك، ما داهنه صلوات الله وسلامه عليه ولا تنازل عن شيء من أمر دينه تطييباً لحاطر عمه الذي كان يحميه وينصره ويؤويه، بل قال قولته المعروفة: (والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثت به، من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار) كما في الطبراني وغيره. وهو صلى الله عليه وسلم كذلك أولاً وآخرًا لم يكن ليربطه بعمه الكافر ود ولا حب كيف وهو صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قدوتنا ومثلنا الأعلى في قوله تعالى: { لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم... } الآية، مع حرصه على هدايته... فذلك شيء والحب والود شيء آخر... وما كان النبي ع رغم إيواء عمه وحمائته له ودفاعه عنه ليصلي عليه يوم أن مات... بل نهاه الله عز وجل عن مجرد الاستغفار له يوم أنزل عليه: { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.. } [التوبة: 113] الآية، وما كان منه صلوات الله وسلامه عليه عندما جاءه علي رضي الله عنه فقال له: (إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه؟...) غير أن يقول له: (أذهب فواره) رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما.

ومثل ذلك أيضاً يُقال في رهط شعيب الذين كانوا مانعاً دونه والكفار، قال تعالى مخبراً عن أعداء نبيه: **{ولولا رهطك لرجمناك}** [هود: 91]. وقد كانوا كفاراً... وكذا نبي الله صالح عليه السلام ووليه الذي كان الكفار يجاذرونه **{قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليته ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون}** [النمل: 49].

* أضف إلى ذلك أن هناك فرقاً واضحاً يجب أن يُلاحظ ويعتبر بين أن يُعين الكافر مسلماً أو يجيره وينصره ويحميه ويأويه بنفسه دون أن يلجأ المسلم إليه أو يذل نفسه له أو يتودد، وإنما يفعل الكافر ذلك من تلقاء نفسه بدافع القبيلة أو العصبية أو القرابة وغيرها... وبين أن يطلب المسلم ذلك منه ويكون في طلبه نوع ذل ومهانة ومداهنة أو إقرار وسكوت عن باطله أو رضياً بشركه.. لا شك أن الفرق بين الحالتين واضح بين لا يخفى على البصير، ولو تأملت هذه الأمثلة لرأيتها من الجنس الأول.. ولأبي جعفر الطحاوي كلاماً لطيفاً يشبه هذا في مشكل الآثار (3/239) فرّق فيه بين الاستعانة بالمشركين في القتال وكون ذلك مما نهي الله تعالى عنه في قوله: **{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً..}** [آل عمران: 118] الآية، وبين قتالهم بأنفسهم ضد أعداء المسلمين دون طلب واستعانة من المسلمين أنفسهم، فراجع فإنه مفيد في هذا الباب.. وكذا حوار ابن الدغنة لأبي بكر... فكله من هذا القبيل..

ومن ذلك أيضاً صلة الوالدين المشركين ومصاحبتهم بالمعروف وتآلف قلوبهم، لأن أمل التأثر بابنهما واتباع الحق الذي يدعو إليه وارد باق ما داما متعلقين بالولد.. حتى وإن جاهداه على أن يشرك بالله... ما لم يقف في الصف الحارِب المعادي الصاد عن سبيل الله... فإن فعلاً ذلك تبرأ منهما علانية كما فعل إبراهيم مع أبيه لما تبين له أنه عدو لله.. بل ويعاديهما ويقاتلهما كما فعل أبو عبيدة وغيره من الصحابة في بدر.. فإبراهيم عليه السلام كما قدمنا كان يتألف قلب أبيه ويدعوه بالحسن واللين ويظهر حرصه على هدايته وخوفه عليه من عذاب الله لأولياء الشيطان.. ولكنه تبرأ منه واعتزله عندما تبين له عداوته الصريحة لله... واستثنى سبحانه مما دعانا للتأسي فيه بإبراهيم والذين معه في سورة الممتحنة؛ استغفاره لأبيه، ونهى المؤمنين في سورة التوبة عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى ثم قال عن إبراهيم: **{فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. إن إبراهيم لأواه حليم}**.

ومنه قوله تعالى: **{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن}** ثم استثنى سبحانه: **{إلا الذين ظلموا منهم...}** [العنكبوت: 64].

وكذا أمان النجاشي للمهاجرين.. وارجع إلى قصة جعفر وموقفه رضي الله عنه في الصدع بدينه ومعتقده في عيسى عليه السلام الذي يخالف فيه دين من هو بين ظهرانيهم، رغم استضعافه ومن معه، ورغم دخولهم في أماتهم.. بل إن النجاشي بكى لما سمع كلام الله يُتلى، وأظهر التأيد والقبول وأعطاهم الأمان فأظهروا دينهم ومعتقدهم لكل أحد، فكان إسلام النجاشي ومن أسلم من أهل الحبشة بتوفيق الله تعالى ثم بسبب إظهارهم لدينهم رضي الله تعالى عنهم.. وراجع في رد هذه الشبهة وإبطالها رسالة (المورد العذب الزلال) للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله أجمعين في الدرر السنوية جزء مختصرات الردود ص124 وكذا ص197 من الجزء نفسه فإنه مهم في رد هذه الشبهة وشبهة أخرى وهي احتجاجهم (مؤمن آل فرعون) وكذا ص212.

* وخلاصة القول في ذلك كله... أن معاداة أهل الباطل وإظهار البراءة منهم ومن ألفتهم الزائفة وأديانهم الباطلة وقوانينهم العفنة.. أصل عظيم، وركن وثيق في دعوة الأنبياء والمرسلين.. وهو كما عرفت شرع محكم يرتكز على أصل دين الإسلام وقاعدته.. فلو اجتمع أهل الأرض جميعاً لأجل رده وإبطاله لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.. والمخالفون فيه لا يستدلون كما رأيت إلا بأمثال هذه القضايا العينية الخاصة التي لا عموم لها عند جماهير الأصوليين والنظار، بل هي نفسها مطروحة على التقييد والتخصيص.. وإذا تقرر أن هذه الطريق أصل عظيم محكم... فقد أمست هذه الأدلة الجزئية وغيرها مما يتوهمه المخالفون معارضاً... متشابهاً يجب رده إلى المحكم، لا أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض ولا سنة المصطفى كذلك.. فتنبه ولا تغتر بشبهه الملبسين..

"وهكذا فلا بد أن يقف أصحاب الدعوة من قومهم موقف المفاصلة الكاملة.. ويوم تتم هذه المفاصلة يتحقق وعد الله بالنصر لأوليائه والتدمير على أعدائه.. ففي تاريخ الدعوة إلى الله على مدار التاريخ، لم يفصل الله بين أوليائه وأعدائه إلا بعد أن فاصل أولياؤه أعداءه على أساس العقيدة، فاختاروا الله وحده.. وأصحاب الدعوة إلى الله لهم أسوة حسنة في رسل الله... وإنه لينبغي لهم أن تمتلىء قلوبهم بالثقة حتى تفيض.. وإن لهم أن يتوكلوا على الله وحده في وجه الطاغوت أيّاً كان.. ولن يضرهم الطاغوت إلا أذى.. ابتلاء من الله لا عجزاً منه سبحانه عن نصرته أوليائه، ولا تركاً لهم ليسلمهم إلى أعدائه، ولكنه الابتلاء الذي يمحص القلوب والصفوف.. ثم تعود الكرة للمؤمنين.. ويحق وعد الله لهم بالنصر والتمكين... اهـ. من الظلال بتصرف.

* ولتعلم أخيراً أن الناس مع هذا الحق أقسام:

* رجل ثابت صاعد بملة إبراهيم وبدين جميع المرسلين على النحو الذي تقدم لا يخاف في الله لومة لائم، فهذا من الطائفة الظاهرة المنصورة وهو الداعي إلى الحق الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، وهو الذي يفوز بكرامة الدارين، والذي يقول تعالى فيه: **{ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين}** [فصّلت: 33]، وهو المعنى بحديث: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير...؟)

وإنما حصل له الأذى لأنه جاء بمثل ما جاء به المرسلون.. لا يداهن أهل الباطل ولا يركن إليهم أو يرضى بباطلهم بل يتبرأ منهم ويظهر العداوة لهم ويهجر كل ما يعينهم على باطلهم من منصب ووظيفة أو عمل أو طريق، ومن كانت هذه حاله لا يأثم بإقامته في مجتمعاتهم وديارهم ولا تجب عليه الهجرة من أي بلد كان. يقول الشيخ محمد بن عتيق في الدرر السنوية عند كلامه على قوله تعالى: **{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه...}** [المتحنة: 4] الآية، ومعنى قوله: **{بدا}** أي ظهر وبان والمراد التصريح باستمرار العداوة والبغضاء لمن يوحد ربّه، فمن حقق ذلك علماً وعملاً وصرح به حتى يعلمه منه أهل بلده لم تجب عليه الهجرة من أي بلد كان، وأما من لم يكن كذلك بل ظن أنه إذا ترك يصلي ويصوم ويحج سقطت عنه الهجرة، فهذا من الجهل بالدين وغفول عن زبدة رسالة المرسلين... اهـ. ص 199 من جزء الجهاد وهذا القسم من الناس إذا صدع بالحق وهُدّد بالقتل والتعذيب وليس ثمّ بلد يهاجر إليها فله أسوة حسنة في أهل الكهف الذين شحّوا بدينهم وفرّوا به إلى الجبال.. وأسوة أخرى بأصحاب الأخدود الذين حرقوا في سبيل عقيدتهم وتوحيدهم وما وهنوا وما استكانوا.. وأسوة بأصحاب النبي الذين هاجروا وجاهدوا وقتلوا وقتلوا وكفى بربك هادياً ونصيراً.

ولولاهم كادت تميد بأهلها ولكن رواسيها وأوتادها هم

ولولاهم كانت ظلاماً بأهلها ولكن هم فيها بدورٌ وأنجم

* أو رجل أقل منزلة من الأول لا يقدر على هذه الطريق المحفوفة بالمكاره، ويخاف على دينه ولا يطيق الصدع بذلك.. فهو يعتزل بغنيمات له يتبع بمن مواقع القطر وشعب الجبال يعبد الله ويفر بدينه من الفتن..

* أو رجل مستضعف مغلق عليه بيته مقبل على خاصة أمره يسعى في نجاتهم ووقايتهم من الشرك وأهله ومن نار وقودها الناس والحجارة.. يتجنب الكفار ويعرض عنهم، ولا يظهر الرضى عن باطلهم ولا يؤيده بأي صورة من الصور.. ولا بد لهذا من أجل سلامة توحيدهم. أن يبقى قلبه مطمئناً بالعداوة والبغضاء للشرك والمشركين ينتظر

زوال المانع.. ويتحين الفرص للفرار بدينه والهجرة إلى بلد أهون شراً.. يظهر بما دينه، كهجرة المهاجرين إلى الحبشة.

* أو آخر مظهر للرضى عن أهل الباطل مداهن لإفكهم وضلالهم فهذا له ثلاث حالات ذكرها الشيخ ابن عتيق في سبيل النجاة والفكاك ص62 فقال:

"الحالة الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن فهذا كافر خارج من الإسلام. سواء أكان مكرهاً أم غير مكره، فهو ممن قال الله فيه: {ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} [النحل: 106]."

الحالة الثانية: أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن، مع مخالفتهم في الظاهر، فهذا كافر أيضاً، وهم المنافقون.

الحالة الثالثة أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفتهم في الباطن وهو على وجهين: أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضرهم وتقييدهم له وتهديده بالقتل، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان كما جرى لعمّار قال تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} [النحل: 106]."

قلت: وينبغي لمثل هذا كما قدمنا أن يسعى دوماً مثل المستضعفين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للفرار بدينه ويدعو دوماً: {ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً} [النساء: 75].

ثم قال: (الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفتهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المال فإنه في هذه الحالة يكون مرتداً ولا ينفعه كراهته لهم في الباطن وهو ممن قال الله فيهم: {ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم الكافرين} [النحل: 107]، فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا آثروه على الدين.. قال: وهذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى).

* قلت: معنى كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أشار إليه ابن عتيق موجود في مواضع كثيرة من كتبه ورسائله، من ذلك على سبيل المثال قوله ص42 في مجموعة الرسائل النجدية: (اعلم أن الأدلة على تكفير المسلم الصالح إذا أشرك بالله أو صار مع

المشركين على الموحدين ولم يشرك، أكثر من أن تحصى من كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء. وأنا أذكر لك آية من كلام الله أجمع أهل العلم على تفسيرها وأنها في المسلمين وأن الرجل إذا قال ذلك فهو كافر في أي زمان كان، قال الله تعالى: {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} [النحل: 106] الآية، وفيها ذكر أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فإذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة وذكروا أن الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه مع بغضه لذلك وعداوة أهله لكن خوفاً منهم فهو كافر بعد إيمانه).

وهو مطابق لكلام الشيخ ابن عتيق السابق وكلام الشيخ سليمان الآتي بعده.. وهو كلام خطير، أعلم علم اليقين بأنه لو كان من كلامنا وليس من كلام هؤلاء الأئمة الأعلام لقليل: خوارج وتكفير.. مع أن الآية نص واضح عليه.. وهذه القضية تختلف عن قضية الإكراه على كلمة الكفر التي يُعذر صاحبها، فنحن هاهنا مع أناس لم يُكروهوا ولم يُضربوا ولم يُعذبوا وإنما حملهم على إظهار الموافقة والولاء للمشركين، حب الدنيا والخوف عليها والطمع بالمال والمشحة بالمسكن (والأرض والقرض كما يقولون) فهو استحباب للحياة الدنيا على الآخرة واشتراء لمتاعها الزائل ببذل الدين والتوحيد والعقيدة.. ربما تستروا مع ذلك بالإكراه وادعوا الضرورات وليسوا في الحقيقة من أهلها، لذا قال تعالى في سورة آل عمران بعدما نهي عن موالات أعدائه وأباح التقيّة للمكروه الحقيقي، قال محذراً: {ويُحذّرکم الله نفسه وإلى الله المصير* قل إن تخفوا ما صدورکم أو تبدوه يعلمه الله...} [آل عمران: 28-29]، وقال في الآية التي تلتها مباشرة: {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويُحذّرکم الله نفسه..} [آل عمران: 30]، وهذا من أعظم الوعيد والتهديد لمن تدبّر كتاب الله وعقله.. ولكن من يُرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً.. ذلك أن كثيراً ممن لاخلاق لهم يتعدّون بالإكراه وليسوا من أهله.. وقد ذكر العلماء شروطاً لصحة الإكراه منها:

- أن يكون المكروه (بكسر الراء) قادراً على إيقاع ما يُهدد به، والمأمور المكروه عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار..

- أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

- أن يكون ما هُدد به فورياً، فلو قال: إن لم تفعل كذا ضربتك غداً، لا يعد مكرهاً.

- أن لا يظهر من المأمور ما يدل على تماديه بأن يعمل زيادة على ما يمكن أن يزول به عنه البلاء.

* كما فرّقوا فيما يُهدّد به المكره ويُخوّف بين الإكراه على المعاصي، وبين الإكراه على قول كلمة الكفر أو موالة الكفار وأمثاله، فلم يُجوّزوا الثاني إلا لمن عُذّب عذاباً لا طاقة له به، وذكروا القتل والتحريق بالنار وقطع الأعضاء والتخليد في السجن وأمثال ذلك، وعمار رضي الله عنه هو الذي نزلت بسببه آيات التقية، ومعروف أنه لم يقل ما قال إلا بعدما رأى مقتل أمه وأبيه، وبعدهما ذاق من العذاب ألواناً، فكسرت ضلوعه وأوذى في الله أذىً شديداً.. وأكثر هؤلاء المتعذّرين بالتقية ممن أوضاعوا في الفتنة وغرقوا في الباطل والشرك لم ينلهم عشر معشار ما ناله.. ولكن كما قلنا سابقاً؛ من يُرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً..

أضف إلى هذا أن أهل العلم يذكرون مع ذلك في أبواب الإكراه على كلمة الكفر؛ أن الأخذ بالعزيمة والصبر على الأذى واحتساب الأجر عند الله تعالى أعظم وأفضل، وهذه مواقف الصحابة وتابعيهم والأئمة شاهدة بذلك فبأمثال هذه المواقف يكون إظهار الدين وإعزازه، وانظر صحيح البخاري باب (من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر) والشواهد في ذلك كثيرة وكذا مواقف الأئمة أكثر من أن تحصى كموقف الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن وغيرها كثير...

ويذكرون قوله تعالى: {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله} [العنكبوت: 10].

كما يذكرون أن التخيير ينافي الإكراه وذلك كحال شعيب عليه السلام مع قومه إذ خيروه بين العودة إلى الكفر أو الخروج من قريتهم، ولم يجوّزوا لذلك الاستجابة وإظهار الكفر في هذه الحالة. وإنما سردنا هذا كله ليعلم من وهبه الله نعمة العقل والتوحيد غربة هذا الدين في زماننا وغربة دعاته وأهله الذين يعرفونه حق المعرفة... وأن أكثر الناس اليوم قد دخلوا في دين الحكومات ودين الطواغيت مختارين بلا إكراه حقيقي، وإنما استحباباً للحياة الدنيا ومساكنها وأمواها ومتاعها ومناصبها على دين الله، وبذلوله وباعوه بأبخس الأثمان، فإياك أن تكون منهم فتصبح من النادمين..

* وبهذا وأمثاله يزول ما قد يستغربه ويستعجبه ويستعجبه كثير من الناس من قول الشيخ ابن عتيق هذا فيمن وافق المشركين في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم وإنما حمله على ذلك ما ذكر من الدنيا وليس الإكراه.. وقوله: "مع مخالفته لهم في الباطن"

يقصد به والله أعلم: (بحسب زعمه) وإلا فكيف نعلم ونطلع على حقيقة باطنه في حاله تلك، إلا عن طريق الوحي كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة.. والله عز وجل لم يكلفنا بالبوطن بل نحكم بالظاهر.. فكما أننا نكف سيوفنا عمّن أبطن النفاق وأبدى موالاته الإسلام وأظهر شعائره، فكذلك نُعملها في هامٍ من أظهر موالاته الكفار وشايعهم وانحاز لهم، وإن زعم أنه يبطن الإسلام.. فالله عز وجل تعبّدنا في أحكام الدنيا بالظواهر وهو وحده سبحانه الذي يتولى السرائر ويعلم الصادق من الكاذب، فيحاسب الناس على أعمالهم ويعتصم على نياتهم كما في حديث أم المؤمنين المتفق عليه في الجيش الذي يُخسف به وفيه المستبصر والمجبور، فيهلكهم الله جميعاً في الدنيا ويعتصم على نياتهم يوم القيامة... وهذا معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: (إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أظهر لنا خيراً أمّناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء الله يحاسب سريرته. ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نُصدّقه وإن قال إن سريرته حسنة).

وهكذا كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم في تعاملاته مع الناس في الحروب وغيرها، فها هو العباس بن عبد المطلب وقد كان يدّعي الإسلام وينتسب إليه، انظر على سبيل المثال (88 و 89 و 6/91) من مجمع الزوائد، و(ص 242-246/4) من مشكل الآثار وغيره.. ولكنه بقي في مكة وهي دار كفر آنذاك ولم يهاجر إلى دار الإسلام وخرج مع المشركين يوم بدر، فأسره المسلمون وعاملوه على ظاهره لا بما زعمه وادعاه من إبطان الإسلام، لأنه خرج في صفوف المشركين أكثر سوادهم، وروي أنه زعم أنه كان مكرهاً في الخروج معهم كما في بعض الآثار المشار إليها آنفاً، وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له عندما رآه يتعدّر بالإكراه ويدعي الإسلام: (الله أعلم بشأنك إن يك ما تدعي حقاً فالله يجزيك بذلك، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك..) رواه الإمام أحمد ورجاله ثقات، إلا أن فيه راوٍ لم يُسم، وعلى كل حال يكفيننا في هذا ما هو ثابت في صحيح البخاري وغيره، من أن النبي صلى الله عليه وسلم عامله بظاهر أمره ولم يطلقه إلا بعدما فدى نفسه كبقية الأسرى المشركين.. ولعل من هذا الباب أيضاً ما جاء في صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين في قصة الرجل من بني عقيل الذي كان من حلفاء ثقيف أسر ولم يطلقه النبي ع رغم ادعائه الإسلام، انظره في مختصر المنذري تحت رقم (1008)..

فعلم من هذا كله أننا مكلفون في معاملاتنا وأحكامنا في الدنيا بالظاهر دون الباطن، وهذا من فضل الله عز وجل علينا وإلا لأمسى الإسلام وأهله ألعوبة وأضحوكة لكل جاسوس وخبيث وزنديق. ومن هذا الباب قصة حاطب وما كان من صنيعه عام

الفتح.. فالأصل أن يُحكم على ظاهر من عمل مثل عمله بالكفر وأن يجري المسلمون عليه ما يستوجب ظاهره من الأحكام في الدنيا كالقتل والأسر، ومن طالع حال المرتدين وأقسامهم وبعض حججهم وتأويلاتهم، وحجج من خُدع منهم بشهود الرجال على نبوة مسيلمة وقصة ثمامة واليشكري وما إلى ذلك.. وكيف أن الصديق عاملهم جميعاً بالظاهر. فأعمل فيهم القتل والأسر.. وأن هذا كان من أعظم فضائله ومناقبه وحسناته؛ عرف صحة ما نقصده ونرمي إليه، ويراجع في ذلك كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فهو كثير في هذا الباب.. انظر على سبيل المثال المواضيع الستة التي ذكرها في مقدمة السيرة وغيرها كثير.. وهذا هو تماماً ما فهمه عمر رضي الله عنه في قصة حاطب وصرح به في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على عمر هذا الفهم، ولا قال له صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)، بل أقر حكمه ولم ينكره فيمن ليس له مانع كمانع حاطب، وزكى لنا باطن حاطب بقوله: (وما يدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر..). إلخ، وقد قال حاطب رضي الله عنه كما جاء في البخاري وغيره: (ما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً ولا رضياً بالكفر بعد الإسلام) فقال صلى الله عليه وسلم مزكياً له: (قد صدقكم).. والمبادرة إلى هذا القول منه رضي الله عنه من أظهر الأدلة على أن الصحابة قد كان مستقراً في نفوسهم أن الأصل في ظاهر هذا العمل أن يكون ردةً وكفراً.. وفي رواية أبي يعلى وأحمد قال: (أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفاقاً، قد علمت أن الله مظهر رسوله وتم له نوره) وفي رواية أخرى لهما أيضاً: (أما والله يا رسول الله ما تعيّر الإيمان من قلبي..). انظر مجمع الزوائد (9/306) وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري: (قد صدقكم) فهذا الصحابي البدري قد استثناه النبي صلى الله عليه وسلم وزكاه وشهد بصدق سريرته وباطنه وأنه لم يفعل ذلك ردةً وكفراً بل كانت منه كبيرة من كبائر الذنوب اغتفرت في مقابل كونه بدرياً.. فهل في المهوتين من شأن موالاته الكفار المنتطعين بقصة حاطب هل فيهم اليوم على وجه الأرض بدرياً أطلع الله على قلبه، ليجعلوا هذا الفعل كبيرة على الإطلاق ويتهاونوا فيه ويتساقطوا تساقطاً؟؟

ولا نسأل هذا السؤال إلا بعد أن نعلم صدق سرائرهم وأهم ما فعلوه ردةً ولا كفراً.. ودون ذلك خرط القتاد.. فمن أين لنا أن نعلم بعد انقطاع الوحي صدق سرائرهم وبواطنهم ومن يزكيهم ويشهد لنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. فهذا مانع من موانع الكفر الباطنة غير الظاهرة، ولا نكلف به بعد انقطاع الوحي، لأجل ذلك كان الأصل فيمن أظهر الركون إلى الكفار وموافقتهم وموالاتهم أن نحكم عليه بظاهره كما تقدم والله يتولى السرائر إن كان على غير ذلك، ويُبعث على نيته إن قتله

المسلمون في صفوف الكفار، وإن أسر تجري عليه أحكام الكفار كما تقدم، والمسلمون معذورون في قتل من أظهر مثل هذا وإن ادعى وزعم أنه يبطن الإسلام وموالاته أهله، وانظر في هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حول الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف به، وقصة أسر العباس يوم بدر وادعائه الإسلام.. في مجموع الفتاوى (28/537) وكذا كلام تلميذه العلامة ابن القيم في الزاد (3/422) وغيرهما من العلماء المحققين.. وتأمل كذلك سبب نزول قوله تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} [النساء: 97] ارجع إليه في صحيح البخاري وغيره فإنه مفيد في هذا الباب أيضاً.. انشط وتأمل ذلك كله وانفض غبار النوم عن عينيك ولا تكن مع الكسالى المقلدين..

* وأخيراً فقد ذكر الحافظ في الفتح (7/521) عن بعض أهل المغازي قال وهو في (تفسير يحيى بن سلام) أن لفظ كتاب حاطب كان: (أما بعد يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ قد جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده، فانظروا لأنفسكم والسلام) وكذا حكاه السهيلي.

قلت: فلو تأمل العاقل كتاب حاطب هذا وما فيه من ثقته بنصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه من شأنه، ومع ذلك فقد أنزل الله تعالى بسبب فعلته هذه آيات عظيمة تقشع منها جلود الذين آمنوا فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل} [المتحنة: 1]، فلو تأملت هذا هداك الله، وكيف شدّد الله تعالى فيه وجعله من موالاته ومودة أعدائه.. ثم نظرت في أحوال كثير من المنتسبين للدعوة والإسلام في هذا الزمان، وما يقع منهم من مباركة ومداهنة بل ومناصرة ومؤازرة عبید القانون وأذئاب الفرنجة وأعداء الشريعة والتوحيد، وما يظهروه من موالاته دساتيرهم وحكوماتهم والقسم على احترام قوانينهم؛ لعرفت غربة الدين الحقيقية، وغربة أهله العارفين له حق المعرفة وندرهم فإياك والتفريط بالدين، إياك.. إياك.

قال الشيخ حمد بن عتيق: (وأما ما يعتقد كثير من الناس عذراً، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله وذلك أن بعضهم إذا خوّفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ظنّ أنه يجوز له إظهار الموافقة للمشركين والانقياد لهم.. إلخ). ثم ذكر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية في صفة الإكراه على كلمة الكفر وأنه لا يكون إلا بالضرب والتعذيب والقتل لا

بمجرد الكلام ولا بالتخويف بالحيلولة دونه ودون زوجته أو ماله أو أهله... ثم قال رحمه الله تعالى: (فإذا علمت ذلك وعرفت ما وقع من كثير من الناس تبين لك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) وقد عاد غريباً، وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة، وبالله التوفيق) اهـ من "سبيل النجاة" الموضع نفسه.

* ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد) في مقدمة رسالة (حكم موالاة أهل الإشراك): (اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم، ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويغضهم ويجب الإسلام والمسلمين...).

ثم ذكر ما هو أشد من ذلك من مناصرة المشركين بالمال وموالاتهم وقطع موالاة المسلمين.. إلى أن قال: (ولا يُستثنى من ذلك إلا المكره وهو الذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: اكفر، أو افعل كذا، وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً، أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا؟! اهـ. ثم أخذ بسرد أكثر من عشرين دليلاً على ذلك.. ولذلك اشتهر كتابه باسم (الدلائل).. فليتأمل ذلك كله المنتسبون إلى الدعوة ممن يظهرون موالاة عبيد الياسق وموافقتهم وينافحون عنهم وعن قوانينهم وحكوماتهم وجيوشهم.. وليتدبروه.. فإنه يهيم جداً، خصوصاً، إذا علموا أنه كله مُنصبٌ على عساكر الدولة المصرية حينما دخلوا نجداً في عهد الشيخ محمد بن عتيق والشيخ سليمان رحمهما الله، حيث صنفا كتاب (سبيل النجاة والفكاك) وكتاب (الدلائل) في ذلك الوقت لتحذير الناس من موالاة أولئك العساكر الذين كانوا يتشبهون بكثير من البدع والخرافات وشركيات القبور، انظر ص309 وغيرها من جزء الجهاد من كتاب الدرر السنية.. ومن المعلوم عن علماء نجد المشاهير من أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه في ذلك الزمان أنهم كانوا يكفرون الدولة المصرية وعساكرها التابعين للدولة التركية كما هو مشهور في كثير من رسائلهم، بل يكفرون كل من والاهم أو دخل في طاعتهم ورضي عنهم واتخذهم وليجة من دون المؤمنين.. والسؤال الذي يطرح نفسه بالحاج الآن: إذا كان هذا حكم أولئك الأئمة الأعلام في العساكر التابعين للدولة التي يتباكى عليها وعلى أيامها أكثر مسلمي هذا الزمان.. وإذا كانت هذه مصنفاتهم فيمن والاهما وأحبها أو أحب ظهورها.. فماذا تراه يكون قولهم في عبيد الياسق العصري؟؟

وبماذا كانوا سيحكمون على من أظهر الولاء لهم ولجيوشهم وشرطتهم خوفاً من الحرمان من المساكن والقسائم أو الوظائف أو غير ذلك من قشور الدنيا ومتاعها؟؟ وبماذا كانوا سيحكمون على من أقسم على الإخلاص لهم أو على احترام قوانينهم.. لو أنهم أدركوا هذا الزمان؟؟؟

"فالحذر الحذر أيها العاقلون والتوبة التوبة أيها الغافلون فإن الفتنة حصلت في أصل الدين لا في فروعه، ولا في الدنيا، فيجب أن تكون العشيرة والأزواج والأموال والتجارة والمساكن وقاية للدين وفداءً عنه، ولا يُجعل الدين فداءً عنها ووقاية لها قال تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} [التوبة: 24]، فتفطن لها وتأملها فإن الله أوجب أن يكون الله ورسوله والجهاد أحب من تلك الثمانية كلها، فضلاً عن واحدة منها أو أكثر، أو شيء دونها مما هو أحقر، فليكن الدين عندك أغلى الأشياء وأعلاها... " اهـ. من الدرر ص 127 جزء الجهاد.

فصل

من أساليب الطغاة لتميع ملة إبراهيم وقتلها في
نفوس الدعاة

وبعد.. فإذا كنت قد فهمت ملة إبراهيم فهماً جيداً.. وعلمت أنها منهج الرسل وأتباعهم.. وأنها طريق النصر والفوز والسعادة في الدارين.. فلتعلم بعد ذلك علم اليقين أن الطغاة في كل زمان لا يرضون عنها، بل يخافون هذه الملة العظيمة ويخشونها.. ويحرصون كل الحرص على قتلها ونزعها من نفوس الدعاة بشتى الحيل والأساليب..

كما أخبر تعالى بذلك عنهم منذ القديم فقال في سورة القلم وهي مكية: {وَدَّوَّا لَوْ تَدَهَّنُ فَيَدُهْنُونَ} [القلم: 9]. فهم يتمنون أن يسلك الدعاة غيره من السبل المعوجة وينحرفوا عن دعوة الأنبياء الصلبة المستقيمة.. ولا يزالون يخطّطون لأجل حرف الدعاة عن هذا الصراط المستقيم.. إلى سبل فيها سكوت عن كثير من باطلهم، تُرضي خواطرهم.. أو تلتقي معهم في بعض أمورهم.. هكذا.. حتى تموت الدعوة وتميع قضيتها وينحرف دعاؤها عن خطها الواضح البين المستقيم فالطغاة يعلمون أن أول التفهقر خطوة إلى الوراء.. ثم تعقب هذه الخطوة، خطوات وخطوات.. ينسى معها الدعاة منهج الدعوة الأصيل.. ويحصل يقيناً من هذا الانحراف.. التقاء مع أهل الباطل في كثير من باطلهم أو بعضه.. وذلك غاية ما يتمنونه ابتداءً.. لذلك فإنهم إن يروا من هؤلاء الدعاة تنازلاً أو تفهقراً.. أظهروا لهم الرضى عنهم وعن دعواتهم، وقربوهم وأثنوا على جهودهم وأظهروا لهم الود والحب.. قال تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء: 73].

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى عند هذه الآية بعد أن ذكر محاولات المشركين لمساومة الرسول صلى الله عليه وسلم على كثير من أمور دينه ودعوته ومن ذلك: ترك التنديد بأهلتهم وما كان عليه آباؤهم إلى غير ذلك.. يقول: "هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، وهي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً، محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها. ويرضوا بالحلل الوسط التي يغروهم بها في مقابل مغامم كثير. ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً. فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل

الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو بضئيل، لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة.. لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء! وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلموا في الجزء، فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة، وارتفاع السعر ينتهيان لكسب أصحاب السلطان إلى صفها، هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصر الدعوة. والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم.. ومتى دبت الهزيمة في أعماق السريرة، فلن تنقلب الهزيمة نصراً! اهـ.

نعم.. وإنما لنرى كثيراً من دعاة اليوم قد اتخذهم الطغاة أحملاً، فهم لا يضرونهم أو يعادونهم.. لأن أولئك الدعاة قد أظهروا الرضى عن كثير من باطلهم فالتقوا معهم في منتصف الطريق.. وجالسوهم في الندوات والحفلات والهلكات.

ومن أمثلة هذه الأساليب في واقعنا المعاصر.. :

* ما أشرنا إليه مما يؤسسه كثير من الطواغيت من برلمانات ومجالس أمة وأشباهاها.. ليجمعوا فيها خصومهم من الدعاة وغيرهم فيجالسوهم فيها ويقاعدونهم ويختلطون بهم حتى يبيعوا القضية بينهم، فلا تعود المسألة مسألة براءة منهم أو كفر بقوانينهم ودساتيرهم أو انحلال من باطلهم كله.. بل تعاون وتآزر ومناصحة وجلس على طاولة الحوار لأجل صالح البلاد واقتصادها وأمنها... و... ولأجل الوطن الذي يتحكم به الطاغوت ويحكمه بأهوائه وكفرياتة.. ، وهذه مزلة عايشنا أهلها ورأينا أكثرهم ممن ينتسبون إلى منهج السلف أو يتمسحون بكلام سيد قطب وأمثاله.. ومع ذلك أمسوا بعد سقوطهم في هذه المزلة يصفقون للطواغيت ويقومون لهم إجلالاً واحتراماً ويخاطبونهم بألقابهم بل وينادون بالولاء لحكوماتهم وجيوشهم وأمنهم.. ويقسمون على احترام دساتيرهم وقوانينهم.. وغير ذلك.. فماذا أبقوا لدعواتهم؟ نعوذ بالله من الضلال..

* ومن ذلك أيضاً ما يلجأ إليه كثير من هؤلاء الطواغيت من تجنيد العلماء وشغل أوقاتهم لصالحهم في محاربة خصومهم ومن يخافونهم على أنظمتهم وحكوماتهم كالشيوعيين مثلاً أو الشيعة أو غيرهم ممن يهددونهم ويهددون حكمهم.. فيلجأ الطاغوت إلى بعض هؤلاء العلماء المتحمسين المبغضين لتلك الاتجاهات الضالة.. فيعينهم على أولئك الأعداء المشتركين ويخادع هؤلاء العلماء بإظهار حرصه على الدين وعلى أهله وتخوفه من أولئك على حرمان المسلمين، ويمدهم بالعون والدعم المادي والمعنون لمحاربة أولئك..

فيسقط هؤلاء المساكين بجائله ويضيعون أعمارهم وأوقاتهم ودعواتهم في نصرة عدو على عدو.. بل يصل الحال بكثير منهم بأن يلغوا عدواتهم للطاغوت القريب ويصادقونه بل ربما أصبحوا في يوم من الأيام جنداً وأعاوناً مخلصين له ولحكومته.. يكرسون حياتهم في خدمته وتثبيت عرشه وحكمه ودولته.. شعروا أو من حيث لا يشعرون.. وليتهم عقلوا قولة العبد الصالح: **{ رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين }** [القصص: 17]، فقد نقل القرطبي في هذه الآية عن بعض الروايات "أن الإسرائيلي الذي استنصر موسى كان كافراً وإنما قيل له من شيعته لأنه كان إسرائيلياً ولم يُرد الموافقة في الدين.. فعلى هذا ندم لأنه أعان كافراً على كافر، فقال: "لا أكون بعدها ظهيراً للكافرين" وظهيراً: أي معيناً. وليتهم عقلوا قوله تعالى: **{ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة.. }** [التوبة: 123]. إذاً لما وقعوا فيما وقعوا فيه.. فإن أولئك الشيوعيين أو غيرهم وإن كانوا أعداء للإسلام وأهله.. وعداوتهم والبراءة منهم والكفر بباطلهم مطلوبة أيضاً.. إلا أن البدء بالأهم فالأهم والأقرب فالأقرب أمر مقرر ومعروف في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بل وتأتي العقول السليمة خلافة، ذلك لأن خطر الأقرب المباشر وتأثيره وفساده وفتنته أعظم وأشد من البعيد، أو القريب غير المباشر، ولذا كانت مجاهدة النفس والشيطان قبل مجاهدة الأعداء عموماً.. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبدأ أول ما بدأ بفارس والروم أو باليهود، ويتغافل عمن هو بين ظهرائهم.

* بل ربما استغل كثير من الطواغيت هذا المزلق الخطير.. وسخروا كثيراً من هؤلاء العلماء الجهلاء.. في الصد عن كثير من الدعاة والتنفير من جماعاتهم الإسلامية ممن هم خصوم لأولئك العلماء في الدعوة إلى الله أو في المذهب أو المنهج.. أو غير ذلك... بل ربما استخلصوا منهم الفتاوى لقمعهم والقضاء عليهم وعلى دعواتهم بحجة أنهم من الخوارج أو البغاة المارقين المفسدين في الأرض.. **{ ألا إنهم هم المفسدون }** وهم يعلمون ويشعرون.. ولقد شاهدنا هذه المزلة كثيراً في أهل زماننا وإلى الله المشتكى.. وما درى أولئك العلماء المساكين أو إخوانهم الدعاة مهما بلغوا من الانحراف.. فإنه انحراف عن جهل أو تأويل.. بل حتى لو كان عن علم وإصرار، فلن يبلغ مبلغ انحراف الطواغيت ومحادتهم لله ولدينه..

* ومن ذلك أيضاً إغراء المؤمنين والدعاة بالمناصب والمراكز والوظائف والألقاب.. ومنحهم الامتيازات والأموال والمساكن، والإغداق عليهم بالخيرات وغير ذلك. حتى يقيدوهم ويتقلوهم ويقفلوا أفواههم بها.. ويحققوا معهم قول قائلهم: (الثدي الذي يرضعك لا تعضه) وهكذا إلى أن يفتتن بهم هؤلاء الدعاة أو أولئك العلماء ويفتنون

بمحوماتهم، حتى يصل بهم الحال إلى أن يرقعوا باطل أولئك الطغاة بفتاويهم المختلفة..
 وبتريدهم لأفضالهم وتسبيحهم بمحمدهم ليل نهار...

يقول ابن الجوزي في تلبس إبليس ص121: (ومن تلبس إبليس على الفقهاء،
 مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك). وقال
 ص122: (وفي الجملة، فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول
 الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك
 الإنكار عليهم، وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول: "ما أخاف من إهانتهم لي،
 إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم) اهـ.

ولو تفكر العاقل في أولئك الذين كان يخاف سفيان أن يميل قلبه إليهم.. لوجد
 البون بينهم وبين طغاة زماننا واسعاً شاسعاً.. فالله المستعان.. ورحم الله من قال:

لا شيء أحسر صفقة من عالم	لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيد سببا	ويزيله حرصاً لجمع المال
من لا يراقب ربه ويخلاه	تبت يدها وماله وال

* ومنه أيضاً إظهار بعض هؤلاء الطواغيت حرصهم على جوانب وفروع من الدين
 والدعوة إليها ليستقطبوا بذلك كثيراً من الدعاة والعلماء الذين يخافون من إخلاصهم،
 وحب الناس لهم، فيؤسسون لهم معاهد ودوراً وإذاعات ويشغلونهم بوزارات الأوقاف
 ومشاريعها وموسوعاتها وغير ذلك مما لا يمس طغيان هؤلاء الطواغيت وفسادهم..

ومن قبيل ذلك أيضاً روابط ومؤسسات الضرار التي يؤسسها هؤلاء الطواغيت..
 كرابطة العالم الإسلامي التي انخدع بها كثير من علمائنا المساكين رغم خطها المكشوف
 الأسود المدهن لكثير من الحكومات الفاسدة عموماً، وللحكومة السعودية وطواغيتها
 خصوصاً.. حتى لقلما تخلو نشرة أو كتاب من مطبوعاتهم إلا ويطفح بالتملق والنفاق
 لتلك الدولة.. ناهيك عن علاقات مسؤوليها المشبوهة مع طواغيت الدول
 المختلفة الأخرى... وخلافها وانتقادها لبعض تلك الدول إنما يكون تبعاً لأهواء دولتها
 الأم.. فإذا كانت الأمور بين الطواغيت على ما يرام فهي كذلك عندها.. وإذا هاجم
 طاغوت كالفدافي مثلاً دولتها أو طواغيتها وسياستهم فإن الفتاوى والاستنكارات تتابع
 وتنهال.. ثم إذا رجعت الأمور إلى حالها الأول بين الطواغيت، هدأت وخرست تلك

الفتاوى وما عدنا نسمع لها حساً.. مع أن الطاغوت هو هو.. ما تغير وما تبدل بل ربما أصبحت حاله أشد وأنكى مما مضى... ولو رأوه بأعينهم يطوف بالبيت بنجسه وطغيانه.. لما حركوا ساكناً.. فإلى الله المشتكى.. وعلى كل حال فهذه المؤسسة وأمثالها لن تعدو كونها مؤسسة حكومية ولقد اعتدنا ألا نثق بما يأتي من الحكومات.. ونعمت العادة.

* ومنه أيضاً ما يمنحونه لكثير من الدعاة من أذن وتراخيص للدعوة والخطابة وما ينشئونه من (هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) التي تعمل على استيعاب واحتواء الدعاة المتحمسين وصددهم عن منكرات الحكومة وسياساتها وباطلها وفساد طواغيتها الكبير.. بشغلهم ببعض منكرات العامة.. خلاصة تلك المنكرات التي قد تهدد أمن الدولة واستقرار حكم الطواغيت.. ولن يتعدوها إلى مستويات أعلى وأعظم ما داموا قد ربطوا أنفسهم بتلك الهيئات أو ذلك الإذن الذي يتحكم فيهم وفي دعواتهم.. ويشدهم شداً..

* ومن ذلك أيضاً تدميرهم وتحطيمهم وقتلهم هذه الملة في نفوس النشء من ذراري المؤمنين.. عن طريق مدارسهم ومعاهدهم وأجهزة إعلامهم ومؤسستهم الطاغوتية المختلفة.. فحيث أن هؤلاء الطواغيت أشد خبثاً وأعظم مكرًا من فرعون.. فهم لا يلجأون إلى أسلوبه في تقتيل الأبناء، إلا في آخر الأمر حين تعجز أساليبهم الخبيثة الأخرى، فيحاولون جاهدين قبل ذلك أن يقتلوا هذه الملة في نفوسهم، فبدلاً من أن يهلكوا الأجيال حسياً كما فعل فرعون، يقتلون فيهم هذه الملة فيهلكونهم أيما إهلاك، وذلك بتربيتهم على حبهم والولاء لهم ولقوانينهم وحكوماتهم عبر مدارسهم الفاسدة هذه، ووسائل إعلامهم الأخرى التي يدخلها وينقلها كثير من جهال المسلمين إلى بيوتهم.. فبدلاً من أن يثير هؤلاء الطواغيت الناس باستعجال القتل الحقيقي... يتبعون هذه السياسة الخبيثة ليسبح الناس بمدهم وبأفضالهم على أنهم ماسحوا الأمية وناشروا العلم والحضارة.. وفوق ذلك كله وتحت هذا الغطاء يربون من ذراري المسلمين أتباعاً أو فياء وخداماً مخلصين لحكوماتهم ولقوانينهم وأسرهم الحاكمة.. أو على أقل الأحوال يربون جيلاً مائعاً جاهلاً منحرفاً، راغباً عن هذه الدعوة الصلبة والملة القويمة.. مدهناً لأهل الباطل.. لا يقوى بل ولا يصلح لمواجهتهم أو يفكر فيها.. وقد فصلنا هذا الأمر وكشفنا أسلوبهم الخبيث هذا في رسالتنا المسماة: (إعداد القادة الفوارس بحجر فساد المدارس).

وكم يسقط ويهبط الداعية إذا زلّ بشيء من هذه المزلات، فما هذه الحال التي نعيشها اليوم من انعدام ثقة الناس بالقيادات الإسلامية وبالعلماء إلا واحدة من ثمرات هذه المزة.. وكم يصغر في أعين الطغاة أنفسهم وتنتزع هيئته من قلوبهم، فلا يخافونه ولا

يخشون دعوته.. ولا يحسبون له عند ذلك أي حساب.. أما إذا رأوا منه صلابة وثباتاً كثبات الجبال، وبراءة وإباء وترفعاً عن الالتقاء بهم في أي نقطة من نقاط طرائقهم المخالفة لمنهج الدعوة القويم فعند ذلك يحسبون له ألف حساب ويلقي الله الرعب المهابة في قلوب الطغاة.. كما كانت هيبة النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الكفار.. وكما كان يُنصر بالرعب من مسيرة شهر.. فالحذر من هذه المنزقات.. والحذر من السقوط في الأعياب الطغاة..

أخيراً.. فقد بيّن الله عز وجل لنا هذه المخططات، وكشف لنا تلك الأعياب، وحذّرنا منها.. وأعطانا الحل والعلاج.. وأرشدنا إلى الطريق الصحيح، فقال مباشرة قبل قوله: {ودوا لو تدهن فيدهنون} [القلم: 9]، قال: {فلا تطع المكذبين} [القلم: 8].

لا تطعهم.. ولا تركز إليهم، ولا تقبل أنصاف حلولهم.. فإن ربك قد أعطاك الدين الحق، وذلك على الصراط المستقيم، وهداك إلى ملة إبراهيم..

* ومثل ذلك تماماً، قوله تعالى في سورة الإنسان وهي مكية أيضاً: {إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً} [الإنسان: 24]، وفي ذكر القرآن وامتنان الله عز وجل على نبيه بتنزيله عليه، قبل النهي عن طاعة الكفار الآثمين، بيان لطريق الدعوة الصحيح.. فإن هذه الطريق لا يختارها الدعاة من عند أنفسهم، وليس لهم أن يرسموها أو يحددوا معالمها كما يهونون أو يتخيرون.. وإنما هي ملة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين المذكورة المفصلة في هذا القرآن.

* ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الفرقان وهي مكية أيضاً: {فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً} [الفرقان: 52]، {وجاهدهم به} أي بالقرآن الكريم.. فلا تعدل لمنهج وأسلوب وطريق للدعوة سوى الطريق التي أمرت بها في القرآن.. وأنذرهم بهذا القرآن ولا تتبع غيره من الطرائق المعوجة الملتوية التي فيها طاعة للكفار، أو سكوت عن بعض باطلهم..

* ومثله أيضاً قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد أمره بتلاوة كتابه⁽¹²⁾ بقليل: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً} * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..} [الكهف: 28-29] والآيات مكية.

(12) ومن معاني التلاوة: الاتباع، من تلا الشيء، أي تبعه..

* ومثله قوله تعالى في سورة الشورى وهي أيضاً مكية، بعدما ذكر ما شرعه لنا وللنبيين من قبل، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى..: {فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم..} [الشورى: 15]، وأمره سبحانه لنبيه بعد ذلك بقليل أن يقول للكافرين: {لنا أعمالنا ولكم أعمالكم} [الشورى: 15].. براءة واضحة منهم ومن أهوائهم ومناهجهم وطرائقهم المنحرفة..

ومثله أيضاً قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في سورة الجاثية وهي مكية أيضاً: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون* إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين} [الجاثية: 18-19].

وهكذا فلو تتبعنا آيات القرآن، لوجدنا عشرات بل مئات الآيات الدالة على هذه المعاني المهمة.. فالله عز وجل لم يخلق عباده عبثاً.. ولم يتركهم هملاً.. أفلا يكفي الدعاة وضوح هذا المنهج واستقامته..؟؟ أو لا يسعهم ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيين من قبله..؟؟ أما آن لهم أن يستيقظوا من الغفلات؟؟ ويقوموا الانحرافات.. أو ما كفاهم سقوطاً في ألعيب الطغاة.. وكتماناً للحق.. وتلبساً على الناس.. ومضجعة للجهود والأعمار..؟؟ فإنه والله اختيار واحد..

"إما شريعة الله، وإما أهواء الذين لا يعلمون.."

وليس هناك من فرض ثالث، ولا طريق وسط بين الشريعة المستقيمة، والأهواء المتقلبة..

وإن هذه الآيات لتعين سبيل صاحب الدعوة وتحدده، وتغني في هذا عن كل قول وعن كل تعليق أو تفصيل.. إنها شريعة واحدة هي التي تستحق هذا الوصف، وما عداها أهواء منبعها الجهل.. وعلى صاحب الدعوة أن يتبع الشريعة وحدها، ويدع الأهواء كلها.. وعليه ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيء من الأهواء.. فأصحاب هذه

ولا شك أن تلاوة كتاب الله عز وجل، بقراءته وتعلمه والتمسك به واتباع أوامره من أعظم أسباب الثبات على هذه الطريق كما تقدم، ويلتحق بذلك دوام ذكر الله عز وجل ومراقبته وقيام الليل.. كما قال تعالى بعد الآية المتقدمة من سورة الإنسان مباشرة: {واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً} [الإنسان: 25].

الأهواء يتساندون فيما بينهم ضد صاحب الشريعة.. فلا يجوز أن يأمل في بعضهم نصرة له.. فهم إلب عليه، بعضهم ولي لبعض.. ولكنهم مع ذلك أضعف من أن يضروه.. ولن يضروه إلا أذى، فالله وليه وناصره، وأين ولاية من ولاية؟ وأين ضعاف جهال مهازيل يتولى بعضهم بعضاً من صاحب شريعة يتولاه الله...⁽¹³⁾، {والله ولي المتقين}.

هذا هو الطريق.. فهل من رجال؟؟

أبو محمد
سنة خمس وأربعمائة وألف
من هجرة المصطفى



منبر التوحيد والجهاد

* * *

<http://www.tawhed.ws>
<http://www.almaqdese.net>
<http://www.alsunnah.info>
<http://www.abu-qatada.com>
<http://www.mtj.tw>

الفهرس

- براءة
- مقدمة
- في بيان ملة إبراهيم
- عبادة الله حق العبادة مما يعين على القيام بهذه الملة العظيمة
- ملة إبراهيم ليست توحيداً نظرياً قولياً وحسب
- معادة الشرك وأهله من أصول ملة إبراهيم
- الطغاة لا يرضون عن الدين إلا إذا كان بعيداً عن عدواة باطلهم
- معنى الصدع بالحق وإظهار الدين
- موالة دين الله ونصرة أوليائه من أصول ملة إبراهيم
- إبداء العدواة للمشركين ومعبوداتهم وإظهارها وإعلانها من أهم معاني ملة إبراهيم
- شبهة: حول إظهار العدواة للشرك وأهله
- بيان أن البراءة والعدواة في ملة إبراهيم على قسمين
- القسم الأول: عدواة الطواغيت والأوثان المعبودة
- القسم الثاني: عدواة المشركين أنفسهم
- الموقف من حكام هذا الزمان وطواغيتهم القانونية
- الموقف من حكام هذا الزمان وطواغيتهم القانونية
- موقف السلف مع أمراء الجور في أزمنة الشريعة والفتوحات

- هاوية مصلحة الدعوة أو خديعة ابليس
- من معاني الركون إلى الظالمين
- شبهة: أن ملة إبراهيم هذه تفضح الدعوة وتنافي السرية
- أعظم نصر للدين إعلان ملة إبراهيم ولو لم تقم الدولة وأيد الدعوة جميعاً فما الدولة الاسلامية إلا وسيلة لإعلاء هذه الملة وإعلانها
- إذا صدع بعض الدعوة بهذه الملة وأعلنوها، رُخص لغيرهم ترك الصدع بها
- الفرق بين مخادعة الكفار أثناء المواجهة لنصر الدين وبين انحرافات كثير من
الدعاة
- ملة ابراهيم مصادمة صريحة لأصحاب السلطان في هذا الزمان
- من لقب غير القرشي بإمام المسلمين أو أمير المؤمنين فقد سلك مسلك الخوارج
- انحراف كثير من الدعوة في هذا الزمان عن ملة إبراهيم
- الإبتلاء هو سنة الله مع من صدع بملة إبراهيم
- عداوة الناس ومفارقتهم من صفات هذه الطريق
- العزلة خير وأفضل من الدعوة المنحرفة عن طريق المرسلين
- الصمت خير من المداهنة
- العابد المعتزل خير من الداعية المداهن الملبس
- ملة إبراهيم هي طريق النصر وهي دعوة الانبياء والمرسلين
- إلى المنحرفين عن دعوة المرسلين ممن يتشدقون بكلام سيد قطب
- دعوة النبي صلى الله عليه وسلم اتباع ملة إبراهيم وصدعُ بها

- شبهة: الأصنام التي كانت حول الكعبة ودعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ساكتاً عنها
- النبي صلى الله عليه وسلم يُكسر الأصنام في مكة زمن الاستضعاف
- أصل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعلان البراءة من المشركين وأصنامهم زمن الاستضعاف وزمن التمكين
- بيان مشكل ما جاء في عيب الآلهة مع نهي الله تعالى عن سبهم في محكم التنزيل
- بيان إشكال معاداة المشركين مع إيواء أبي طالب لنبي صلى الله عليه وسلم
- وصلة الوالدين المشركين، وجوار ابن الدغنة لأبي بكر، وإيواء النجاشي، وأمثاله
- الفرق بين الاستعانة بالمشركين، وبين إعانة المشرك للمسلم بنفسه بدافع العصبية أو غيرها، دون لجوء من المسلم لو ركون
- أقسام الناس مع مللة إبراهيم
- الركون للمشركين وإظهار موالاتهم خوفاً على حظوظ الدنيا بلا إكراه، عمل ظاهره الكفر
- شروط صحة الإكراه والتفريق بين الإكراه على المعاصي والإكراه على الكفر
- أحكام الدنيا تجرى على الظواهر والله يتول السرائر
- قصة حاطب بن أبي بلتعة
- دعوى الإكراه عند كثير من الناس وبيان المكره الحقيقي
- تكفير علماء نجد لعساكر الدولة التركيّة ومن والاهم
- الطغاة يتمنون أن ينحرف الدعاة عن مللة إبراهيم إلى المداينة
- محاولات الطغاة لحرف الدعاة عن هذه الطريق

- أساليب الطغاة لتميع ملّة إبراهيم في هذا الزمان
- البرلمانات ومجالس الأمة الشريكية وجر الدعاة إليها
- استغلال كثير من العلماء والدعاة واستغفالهم وتجنيدهم لمحاربة أعداء الطواغيت
- واستغفالهم في محاربة إخوانهم المسلمين أيضاً
- إغراءهم بالمناصب والمراكز والألقاب
- إشغالهم في مؤسسات الضرار الحكومية كرابطة العالم الإسلامي ووزارات الاوقاف والمعاهد والإذاعات وهيئات الأمر بالمعروف واستغلال ذلك لصالح الطغاة وحكوماتهم
- تربية أجيال موالية لهم تسبح بحمدهم وأفضالهم عن طريق هذه المدارس
- الحل والعلاج والمخرج من الفتنة هو (ملّة إبراهيم)
- متى يصحوا الدعاة؟؟؟ ومتى تنتهي الغفلات؟؟؟